المتون المبتكرة

تفريغ شرح كتاب

الأصول الثلاثة

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

الشيخ لم يراجع التفريغ

برنامج التعليم الميسر
الشؤون العلمية بمسجد النخيل
بحي العريجاء في مدينة الرياض

الراعي الرسمي
الشيخ عبدالله بن محمد الخراشي
غفر الله له ولوالديه ولذريته

شرح

فضيلة الشيخ د. عبدالله بن عبدالعزيز العنقري
حفظه الله تعالى

على

ثلاثة الأصول وأدلتها

للإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله

«ضمن برنامج التعليم الميسر المستوىٰ الأول لعام ١٤٣٦هـ»

وقد تم بفضل الله في أربعة مجالس

النُّسخة الإلكترونيَّة الثانية

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ

للأخطاء الطباعية والاستدراكات والاقتراحات
malnakhil@gmail.com

موقع مسجد النخيل على الإنترنت
www.mnakhil.com

المجلس الأول

القارئ: الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهٰذا المجلس الأول في شرح الكتاب الثاني من «برنامج التعليم الميسر»، والكتاب الثاني هو «ثلاثة الأصول وأدلتها» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالىٰ، المتوفىٰ سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بمدينة الرياض عصر الجمعة الأول من جمادىٰ الأولىٰ لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري –وفقه الله–.

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛ فكتاب ثلاثة الأصول للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالىٰ عليه من الكتب النافعة علىٰ قلة أوراقه إلا أنه رحمه الله تعالىٰ ركز فيه تركيزًا بالغًا علىٰ ما ينبغي أن يعلم عن أصول ثلاثة يُسئل عنها العبد في قبره، والأصول الثلاثة أراد بها رحمه الله –كما سيأتي– معرفة الرب ﷻ، ومعرفة الدين، ومعرفة النبي ﷺ، وهي التي يُسئل عنها العبد في قبره فيقال له –إذا أقعد بعد أن ولىٰ عنه الناس، وأتاه الملكان يسألانه–: من ربك ؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ فركّز رحمة الله تعالىٰ عليه علىٰ هٰذه الأصول، وبيّنها، ووضَّحها بأسلوب سهل ميسر، سنقوم –إن شاء الله تعالىٰ– بشرح الكتاب شرحا في العموم الأغلب موجزًا، لا يتعمق في كثير من كلماته؛ لأن المقام مقام إيجاز، هٰذه الفترة فترة العصر سننتهي –إن شاء الله– قبل الأذان بنحو ربع ساعة؛ لأن هٰذه الساعة ساعة الجمعة ولأن في المساء أيضًا تقال الأذكار، ويدعو العبد ربه في هٰذه الساعة المباركة ثم نواصل المغرب –إن شاء الله تعالىٰ– إلىٰ العشاء ويكون مثل ما قلنا الشرح متوسطًا، أقرب إلىٰ المتوسط، لكن لن يكون فيه شيء من التعمق؛ لأن المقام مقام إنهاء للمتن في فترة وجيزة إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ في ثلاثة الأصول:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، اعلم –رحمك الله– أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل؛ الأولىٰ: العلم وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، الثانية: العمل به، الثالثة: الدعوة إليه، الرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه، والدليل قوله تعالىٰ: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر]، قال الشافعي

رحمه الله تعالىٰ: هٰذه السورة لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هي لكفتهم، وقال البخاري رحمه الله تعالىٰ: بابٌ العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

بدأ رحمه الله تعالىٰ بالتسمية، وهو المشروع أن يبدأ الإنسان كتابه بذكر الله سبحانه، ولا ينبغي له أن يخليه من ذكره سبحانه بحيث ينهج نهج أعداء الله سبحانه من أهل الكفر، بأن يبدأوا مباشرة دون تسمية، فهٰذا أولا علىٰ خلاف هدي النبي ﷺ، وكان ﷺ إذا أرسل كتابًا كتب فيه: «**بسم الله الرَّحـمٰن الرحيم**»، كما كتب لهرقل: «**بسم الله الرَّحـمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم أما بعد: فأسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم الأريسيين** ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ٤٦]»، فينبغي البدء باسم الله سبحانه، وفي كتاب الله سبحانه أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما أرسل لملكة اليمن –ملكة سبأ– أرسل لها هٰذا الكتاب ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل]، فيبدأ المسلم بالتسمية أو بالحمد يحمد الله ويصلي علىٰ نبيه ﷺ، المهم أن لا يخلي كتابه من التسمية.

الباء في قولك: «بسم الله» متعلقة إما بفعل تقديره: أبدأ بسم الله الرَّحـمٰن الرحيم، أو متعلقة بالمصدر بسم الله الرَّحـمٰن الرحيم ابتدائي، والله سبحانه هو الاسم الذي جميع الأسماء تعود إليه، فإنه كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] فيقال: الله هٰذا الاسم العلم علىٰ رب العالمين ﷻ، ولعظمة هٰذا الاسم فإن الأسماء الأخرىٰ تكون كالأوصاف له، فيقال: الله هو الرَّحـمٰن، من أسماء الله الرَّحـمٰن، ولا يقال: من أسماء الرَّحـمٰن الله؛ لأن هٰذا الاسم هو الاسم العظيم لله سبحانه؛ فالرَّحـمٰن مشتق من الرحمة، وهو علىٰ صيغة الفعلان وهو أشد مبالغة من الرحيم الذي هو علىٰ صيغة الفعيل، ولهٰذا الرَّحـمٰن هو أمر يشمل الدنيا والآخرة فرحمته تعالىٰ وسعت كل شيء، والرحيم قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب]، واسم الرَّحـمٰن خاص بالله سبحانه لا يطلق علىٰ أحد سواه –سبحانه–، ولا يحل أن يطلق علىٰ غيره.

المصنف رحمه الله تعالىٰ بدأ بقوله: اعلم، ما المراد بالعلم؟ العلم كما قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «العلم معرفة الهدىٰ بدليله»، هٰذا هو العلم تعريف العلم أن تعرف الهدىٰ، وأن تكون معرفتك للهدىٰ بالدليل، فمَنْ عرف الهدىٰ بدون دليل فهو مقلد، ومن عرف الباطل والضلال وامتلأ معلومات منه فلا يمكن أن يسمىٰ عالمًا؛ لأنه عرف الضلال ولم يعرف الهدىٰ، والعلم إنما يطلق علىٰ الهدىٰ، فأما من عرف الضلال فلا يمكن أن يكون عالما -حتىٰ لو عرف مذاهب أهل الشرق والغرب ومذاهب كل أحد-، العلم في رد الباطل، يكون العلم في هٰذه المذاهب ليس أن يعرف ما عليه أهل الكفر والضلال، وما عليه اليهود والنصارىٰ مجردًا؛ لأن هٰذا أمر ليس من الهدىٰ حتىٰ يتعرف، ولا ينبغي أن يتعرف عليه المسلم أصلًا إلا إذا تعرف علىٰ الهدىٰ، ومن الأغلاط العظيمة أن يتعرف علىٰ ما عند أهل الضلال والكفر والباطل قبل أن يعرف الحق؛ هٰذه بلية داهية من الدواهي التي ابتلي بها الناس في هٰذه السنين؛ أن يتعرفوا علىٰ ما عند أهل الكفر والضلال علىٰ قلة بضاعتهم، حتىٰ إن الواحد منهم ربما لا يعرف معنىٰ لا إلٰه إلا الله، ثم يتعرف علىٰ ما عند الشيوعيين والملاحدة والزنادقة والروافض والمخرفين، وهو لا يعرف الهدىٰ، هٰذا غلط كبير جدًا، العلم هو معرفة الهدىٰ.

أما رد الضلال فإنه ليس لكل أحد، وإنما لمن رزقه الله تعالىٰ رسوخ القدم في العلم، واحتيج إلىٰ أن يرد، أما أن يتعرف علىٰ ما عند أهل الباطل وينشر في الناس فلا شك أن هٰذا لا يحل، إذًا العلم هو معرفة الهدىٰ بدليله، بأن تعرف الحق والصواب بالدليل، وتكون عندك القدرة علىٰ أن تعرف أن دليل هٰذه المسألة كذا.

فعلىٰ سبيل المثال: كلمة التوحيد إذا قيل لك: ما معناها؟ قلت: لا معبود حق إلا الله هٰذا هدىٰ صواب، ما دليلها؟ فإذا لم تعرف دليلها فأنت في هٰذا قد عرفت الحق ولم تدلل عليه، فإذا قلت دليلها من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، «لا إلٰه» نفي، «إلا الله» إثبات، وقولك: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت هو المعبود من دون الله، والكفر به هو المقصود في القسم الأول من كلمة التوحيد وهو النفي، وقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ هو الإثبات في قولك: إلا الله، فتضمنت كلمة التوحيد الإثبات والنفي، هنا عرفت الحق بالدليل، فإذا قلت: إن معنىٰ «لا إلٰه إلا الله» لا معبود حق إلا الله دون أن تدلل فإن هٰذا من معرفة الهدىٰ، وهو حق ومنجي وهو الذي

يلقنه العامة ويلقنه الصغار، حتىٰ يلقنوا الصواب، لكن فيما يتعلق بطالب العلم ينبغي أن يتعلم هٰذا الهدىٰ أن يتعلم دليل هٰذا الهدىٰ الذي وصل إليه، فبذلك يكون من ذوي العلم.

يقول رحمه الله تعالىٰ: «اعلم -رحمك الله-»، هٰذا من حسن مخاطبة السامع والقارئ، ومن الأدب أن يُبدأ بالدعوة إلىٰ الله سبحانه بأسلوب رفيق لين فيه ترغيب للمدعو، ومن ذلك أن تدعو له، فإنه إذا سمعك تدعو له بالرحمة وبالتوفيق أقبل علىٰ ما تقول، وفي هٰذا مجانبة للجفاء والغلظة في التعامل مع المدعوين، فإن المدعو إذا عومل بالجفاء فإن ذلك أدعىٰ إلىٰ نفوره، أما إذا عومل بالأسلوب الحسن والعبارات الطيبة المناسبة فإن ذلك أدعىٰ لقبوله وإقباله علىٰ ما تقول.

«أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل»، هٰذه المسائل تشمل الدين كله، فينبغي أن يكون عند طالب العلم عناية بالغة بها، ما المسائل هٰذه؟

المسألة الأولىٰ: **هي العلم**، العلم بماذا؟ العلم بأعظم شيء ينبغي أن يُعلم، وهو معرفة الله تعالىٰ، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هٰذه أعظم مسائل الدين، العلم بالله تعالىٰ لا سبيل إلىٰ أن نعلم ما يتعلق بربنا سبحانه إلا بما علمنا هو سبحانه، الله تعالىٰ عرّف عباده بنفسه، وهو عز اسمه أعلم بنفسه كما قال سبحانه: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] فيجب أن يتلقىٰ العلم بالله من كتاب الله تعالىٰ، وأعلم الخلق بالله هو رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ كما زكاه الله في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، فنتعرف علىٰ ربنا سبحانه بما عرفنا في كتابه، وبما عرفنا نبيه ﷺ فنعرف ربنا به.

معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد نبي الله ﷺ -ويأتي إن شاء الله تعالىٰ التفصيل في أمر معرفته صلوات الله وسلامه عليه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة-، الدليل هو الذي يرشد إلىٰ المطلوب، والدليل تارة يكون سمعيًا، وتارة يكون عقليًا، معرفة دين الإسلام التي ينجو بها العبد هي فيما يتعلق بعامة المسلمين هي إجمالية؛ لأن العلم نوعان: علم إجمالي، وعلم تفصيلي.

فالعلم الإجمالي؛ ينجو به المؤمن، بأن يعرف ما لا بد أن يعرفه من أصول دينه الكبار، كأن يعلم ما يتعلق برب العالمين من استحقاقه -تبارك وتعالىٰ- للعبادة وحده، وأن لا يصرف العبادة لغيره سبحانه، وأن يعلم ما يتعلق بانفراده عز اسمه بالربوبية، وأن له الأسماء والصفات التي لا يمكن أن يكون لها نظير

في المخلوقين يقاس عليه، يعلم ما يتعلق باليوم الآخر، وأن الله تعالىٰ سيبعث هٰذه الخلائق، يعلم ما يتعلق بالجنة والنار بصفة إجمالية، قد تفوته تفاصيل كثيرة؛ مثال ذلك: قد لا يدري العامي بتفاصيل كثيرة مذكورة في النصوص تتعلق بالقيامة، من مثل ما يكون في القيامة هل أول ما يرد الناس يكون أمامهم الصراط أو الميزان؟ هٰذه مسألة، ثم القنطرة التي يوقف عليها الناس بعد أن يعبروا الصراط قد لا يعرفها ولا يدريها، تفاصيل ما ورد في الأحاديث من نعيم أهل الجنة قد لا يعرفها، تفاصيل ما يكون لأهل النار من العذاب قد لا يعرفه، فهل يلزمه أن يعرف التفاصيل؟ لا؛ لأنه يُطالب بالعلم الإجمالي وهو أن رب العالمين سيبعث من القبور وسيحاسبهم ويجازيهم، وأن هناك دارين دارًا للمؤمنين يكرمهم بها وهي الجنة، وهناك دار للكفار يعاقبهم فيها وهي النار، أما تفاصيل هٰذه الأشياء فقد تفوت أكثرها علىٰ عوام المسلمين، فينجون لا إشكال ينجون؛ لأنهم مطالبون بالعلم الإجمالي.

أما العلم التفصيلي؛ فإنه يكون عند أهل العلم فتجد عنده من تفاصيل ما يتعلق باليوم الآخر ما يمكن أن يتحدث فيه أيامًا متوالية، ويضع فيه المصنفات الطويلة والكبيرة الضخمة، ويتحدث عن تفاصيل ذلك ويبيّن الصواب في المسائل المتعلقة باليوم الآخر، ويرجح الراجح، ويوهن الواهن الضعيف، ويبيّن الباطل عند أهل الباطل ويرده عليه، هٰذا علم تفصيلي، عوام المسلمين لا يطالبون بالعلم التفصيلي، وإنما العلم التفصيلي أمر علىٰ سبيل الكفاية.

وهٰذا له نظير في مسائل حتىٰ مسائل الأحكام، فالمسلم مطالب بأن يعرف كيف يتوضأ، كل مسلم وأن يعرف كيف يصلي، إذا لم يكن عنده مال يزكي منه فإنه لا يطالب بأن يعرف تفاصيل مسائل الزكاة، لكن عليه بأن يعتقد أن الله تعالىٰ أوجب الزكاة في الأموال، لكن إذا لم يكن من أهل الزكاة فإنه لو جهل أحكام الزكاة؛ كمقادير الأنصبة في الإبل والبقر وفي الغنم وفي النقدين، هي قد تخفىٰ عليه لكنه يعلم أن الله تعالىٰ أوجب الزكاة وأنها ركن من أركان الإسلام، أما تفاصيلها يقول: أنا لا أعلمها، لا يضره لأنه عامي ولم تتوجه إليه الأحكام؛ لأنه مع كونه عامياً فهو فقير ليس عنده مال يحول عليه الحول، فإذا أغناه الله وصار عنده مال لزمه شرعًا -في هٰذه الحال- لزمه شرعا أن يعرف تفاصيل أحكام الزكاة مثلا في ماله، إن كان من أصحاب الأموال النقدية، أو فيما يتعلق بالإبل إن كان من أصحاب الإبل ونحو ذلك.

إذًا فالعلم نوعان منه علم تفصيلي؛ وهو لأهل العلم كما قلنا، ومنه علم إجمالي وهو لعامة المسلمين، ثم العلم الذي هو فرض علىٰ العين هو المتعلق بعبادة الإنسان: من مثل الوضوء والصلاة

ونحوها فهٰذه علىٰ الجميع لا يوجد أحد من المكلفين إلا ويلزمه أن يعرفها، ثم إذا وصل إلىٰ موضع يتوجه فيه الحكم مثل الزكاة أو كذلك الحج إذا كان لا يستطيع الحج، فإنه غير ملزم بمعرفة تفاصيل الحج وقد يمكث سنين لا يحج، ثم يغنيه الله سبحانه فيتمكن من الحج فيقال: لا تحج إلا عالما بأحكام الحج، وليس معنىٰ علمه بأحكام الحج بأن يكون علىٰ دراية أهل العلم بتفاصيله؛ لكن لا تذهب لتحج كما اتفق هكذا تذهب! وإنما تتعلم أو تذهب مع من يعلمك أمور الحج، إذًا العلم علىٰ هٰذا التفصيل الذي ذكرناه.

أما قوله رحمه الله: «معرفة دين الإسلام بالأدلة» ففيما يتعلق بطلبة العلم ينبغي أن يعرفوا الأمور بأدلتها، كما قلنا: العلم معرفة الهدىٰ بدليله، أما فيما يتعلق بعامة المسلمين فإنهم لا يُلزمون بأن يعرفوا ويستقصوا أدلة المسائل؛ لأن هٰذا أيضًا لا يتمكنون منه، بعد أن يعرف الإنسان العلم، هو لم يتعلم العلم إلا ليعمل به فيجب عليه أن يعمل بما تعلم، ولن ينفعه علمه إلا إن عمل به، والمحذور في مسألة العمل شيئان:

المحذور الأول: أن يعلم ولا يعمل، فهٰذا نسال الله العافية يجمع علىٰ نفسه حججًا ثم يحاسب بها في القيامة، من علم وعرف الأحكام واتجهت إليه الأمور اتجاهًا واضحًا في وجوب فعل كذا والكف عن كذا فلم يعمل فإن علمه حجة عليه ووبال عليه نعوذ بالله.

المحذور الثاني: أن يكون عند الإنسان حماس ليعمل علىٰ غير علم، نحن نقول الواجب الثاني عليه هو أن يعمل بعد ماذا؟ بعد أن يعلم، فيوجد عند بعض الناس حماس وهمة في الانطلاق نحو العمل بلا علم، وهٰذا أيضًا فيه خطورته البالغة.

والذي يعلم ولا يعمل ورد فيه حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**أن من يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره**» فتجده يوجه الناس وينبههم ويعظهم وينتفعون بما يقول، لكنه يحرق نفسه؛ لأن هٰذه كلها حجج عليه -نعوذ بالله-، لهٰذا نهت أم الدرداء رضي الله عنها شابًا كان يتردد عليها ويأخذ عنها، نهته لما سألته هل تعمل بما تعلم؟ قال: لا، قالت: لا تكثر من حجج الله سبحانه عليك، ما الفائدة من العلم؟! مرادها ما الفائدة من العلم إذا كان الإنسان يتعلم ثم لا يعمل! هٰذا يجمع حججًا، لهٰذا ما نسمعه أيها الإخوة في الخطب، في المواعظ ما نسمعه يتلىٰ وهو أعظم في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ هٰذه حجج، إما أن تكون حججًا للعبد، وإما أن تكون حجة عليه، ولهٰذا ثبت عن النبي

ﷺ أنه قال: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»، ما هنالك أي مجال لأن يوجد شيء ثالث، إما أن يكون القرآن حجة لك إذا عملت به، وإما أن يكون حجة عليك إن لم تعمل به، أنواع الناس في هاتين المرتبتين؛ منهم من علم وعمل، فهٰذا بأكرم المنازل، ومنهم من لا يعلم ولا يعمل، فهٰذا بأشر المنازل.

والصنف الثالث: من عمل بلا علم، يخبط في الأمور وعنده كما قلنا الحماس والحرص لكن علىٰ غير بصيرة، فهو يعمل ولكن علىٰ غير بصيرة بلا علم، وقد يظن كثير من الناس أن أمره سهل، وأن اجتهاده ينبغي أن يشكر وهٰذا غير صحيح، لهٰذا جاء عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالىٰ وعن الحسن البصري أنهم قالوا: (من عمل بلا علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)، ما قالوا سيفسد وسيصلح ولكن قالوا: (كان ما يفسده أكثر مما سيصلحه)، لهٰذا مَنْ تصدر للدعوة أو للإفتاء أو للجهاد في سبيل الله أو لوعظ الناس وهو علىٰ غير علم بالأحكام التي تتعلق به؛ فإنه سيضر ضررًا بالغًا، فيجب أن يكون العمل مربوطًا بالعلم، وأن لا ينطلق الإنسان بالعمل إلا علىٰ علم وبصيرة.

والصنف الرابع: من علم -عياذًا بالله- ولم يعمل، هٰذا كما قلنا إنما يجمع حجج الله تعالىٰ علىٰ نفسه.

المرتبة الثالثة: إذا أنت علمتَ وعملتَ وأصلح الله تعالىٰ من حالك وستجد فرقًا عظيمًا جدًّا بين حالك حين عملت علىٰ علم، وبين حالك قبل أن تصل إلىٰ العمل علىٰ بصيرة، فالواجب عليك أن لا تقتصر علىٰ نفسك، ولهٰذا يجب عليك أن تدعو إلىٰ الله، لِمَ يجب عليك أن تدعو إلىٰ الله؟ لأنك تدعو علىٰ بصيرة تحقق عندك العلم، ثم إنك في خاصة نفسك قد عملت فادعُ غيرك، واحرص علىٰ أن ترفع الجهل عن غيرك، كما أكرمك الله بأن رفع الجهل عنك ولا تجلس هكذا، قد علمت الحق وعملت به، واقتصرت علىٰ نفسك، وهٰذا من الأمور المؤسفة في أزمنتنا هٰذه الآن الذي يتخرجون من الكليات الشرعية كثير جدًا ثم تجد عددًا منهم غير قليل لا جدوىٰ منه، فيه ما فيه من الخير والاستقامة والعلوم النافعة عنده، وعنده عمل في خاصة نفسه، مقبل علىٰ طاعة ربه، وعلىٰ الكف عن ما حرم الله وهو علىٰ بصيرة، لكن لا ينفع أحدًا هو مقتصر علىٰ نفسه وهٰذا غلط؛ لأن الدعوة إلىٰ الله سبحانه لمن علم لا بد منها، والأمة بحاجة مع هٰذا الجهل العظيم المستشري الذي صار علىٰ حال بلغ نفس ما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يشب فيها الصغير ويهرم عليها الكبير، فإذا غيرت -يعني البدعة- قيل: غيِّرت السنة» يجب علىٰ من أكرمه الله جل وعلا بالعلم ومن عليه بأن عمل علىٰ بصيرة

يجب عليه أن يدعو، ولا يقتصر علىٰ نفسه فالجهل كبير ومنتشر في الأمة انتشارًا عظيمًا، فالحاجة لأهل العلم بالغة وهي أعظم الحاجات، الأمة أشد ما تحتاج إلىٰ من يبث فيها العلم وينشره ويكون الناس علىٰ بصيرة رجالًا ونساءً، فالجهل لا يوصف؛ وإذا أردت أن تعرف شدة حاجة الأمة إلىٰ العلم انظر إلىٰ موسم الحج، ما يجمع من هؤلاء الذين أتوا يريدون الحج قد أنفقوا أموالهم وأجهدوا أبدانهم يريدون الحج، انظر إلىٰ الجهل الشديد المخيم فيهم، هٰذا الوضع الماثل أمامك الآن في مليونين أو ثلاثة ملايين هو وضع الأمة وضع أمة محمد ﷺ وهؤلاء من خيارهم، ممن بذلوا أموالهم وبذلوا جهودهم حتىٰ وصلوا ومع ذلك تجد فيهم من الجهل شيئًا عظيمًا فما بالك بمن وراءهم؟! ومن نعمة الله سبحانه أن يسر في هٰذه الأزمنة وهي من مزيد الحجة في الحقيقة علىٰ الناس أن يسر الله تعالىٰ في هٰذه الأزمنة وسائل في لإيصال العلم ما كانت موجودة منذ سنوات قريبة، فيستطيع الإنسان أن يعمل وأن يجتهد وأن يكون عنده نشاط في الدعوة إلىٰ الله سبحانه، بعض الأحيان وهو في بيته فيحرص علىٰ نشر الخير ولكن يحرص أن لا ينشر إلا شيئًا صوابًا، وإذا تردد فلا ينشر شيء بتاتًا، حتىٰ يكون علىٰ صواب وعلىٰ بصيرة، وإذا لم يدري يسأل، أما أن ينشر للناس ما وقع في أيديهم في جوالاتهم أو في المواقع كيف ما اتفق هٰذا غلط لا شك قد ينشرون أحاديث مكذوبة، قد ينشرون أحكامًا مغلوطة، قد ينشرون قصصًا خرافية فاسدة، فالذي عنده علم وبصيرة هو الذي ينشر، الذي ليس عنده علم يسأل أهل العلم حتىٰ يساهم في الدعوة إلىٰ الله وتكون مساهمته في الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة.

المرتبة الرابعة: الصبر علىٰ الأذىٰ فيه، لماذا ذكر الصبر؟ لأن من دعا فلا بد له من نوع أذىٰ، قد يكبر هٰذا الأذىٰ ويشتد، وقد يكون دون ذلك، لكن الأذىٰ حاصل ولا بد؛ لأن الداعي إلىٰ الحق لا بد أن يواجهه أهل الباطل، نعم يتفاوت هٰذا في أزمنة، ويتفاوت في أمكنة، ويتفاوت في أحوال، لكن لا بد من الأذىٰ، فعلىٰ الداعي إلىٰ الله أن يصبر، وألا تكون نفسه بالمنزلة المبالغ فيها عنده بحيث إذا ورده أدنىٰ أذىٰ ترك الدعوة إلىٰ الله، وقال: الناس فاسدون مفسدون لا حاجة لدعوتهم، هٰذا غلط، يجب الصبر علىٰ الناس والتحمل، النبي ﷺ يقول: «**الذي يصبر علىٰ الناس ويخالطهم خير من الذي لا يصبر علىٰ الناس ولا يخالطهم**» من خالط الناس لا بد أن يؤذوه، ولا بد أن يجد من ذلك عنتًا وتعبًا ومشقة فليصبر؛ لأنه في مقام ورث فيه الرسل صلىٰ الله عليهم وسلم، الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا وهم أعظم من دعا إلىٰ الله، فمن ورث الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يؤذىٰ كما أوذي الرسل وهم

أكرم علىٰ الله تعالىٰ منه، وكما أن الله تعالىٰ جعل للرسل من ورث علمهم فإن لأعداء الرسل من ورث منهجهم، الذين عادوا الرسل صلوات الله وسلامه علىٰ الرسل، هؤلاء موجودون زمن الرسل، الذين تعلموا العلم الشرعي ورثوا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ولكن ورثوا العلم**» فهم ورثوا الأنبياء في العلم، فورثة أعداء الرسل موجودون ومستمرون، فهم سيعادون حملة إرث الرسل سيعادون أهل العلم، ولهٰذا مَعلم كبير من معالم أهل الباطل علىٰ امتداد الأزمنة معاداة العلماء، والحط منهم والتنفير منهم، ومن مجالسهم، والطعن في نياتهم هٰذا معلم من معالم أعداء الرسل، الذين ورثوا هٰذه الخصلة الذميمة، فكما كان يذم الرسل ويتهمون، ويطعن في نياتهم ومقاصدهم فإن ورثة الرسل لا بد أن ينالهم ذلك، ولهٰذا لا بد من الصبر لا بد من الصبر علىٰ الأذىٰ، ولهٰذا قال لقمان لابنه في وصيته: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان] لما أمره بأن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾، لا بد من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر لا بد لمن دعا أن يواجه نوعًا من الأذىٰ هٰذا الأذىٰ هٰذا قد يكثر ويعظم ويشتد وقد يكون دون ذلك، فعليه أن يروض نفسه علىٰ هٰذا فهٰذا مما ينبغي أن يستحضر.

المصنف رحمه الله تعالىٰ استدل علىٰ ما تقدم بهٰذه السورة العظيمة يقول تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾ [العصر] والمراد بالعصر الزمان، والله تعالىٰ يقسم بما شاء وليس للعبد أن يقسم إلا بالله وحده، فليس لأحد أن يقسم بليل ولا بنهار ولا بسماء ولا شمس ولا قمر ولا حياة أحد، لا يقسم إلا بالله وحده أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ كل إنسان جميع الناس هٰذا هو وصفهم ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ لفي خيبة وفي خسر إلا من استثناهم الله تعالىٰ بهٰذه الصفات:

الصفة الأولىٰ: الإيمان، والمراد به الإيمان بالمعنىٰ الشرعي الذي دلت عليه النصوص أنه قول واعتقاد وعمل، فيشمل بذلك قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قوله: وعملوا الصالحات هٰذا يدخل فيما تم تعريفه قول واعتقاد وعمل، وتواصوا بشيئين اثنين: الشيء الأول: تواصوا بلزوم الحق والثبات عليه وعدم الحيدة عنه، وتواصوا بالحق، والثاني: الصبر علىٰ الأذية ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وذلك بالصبر وتوصية بعضهم بعضا بالصبر علىٰ

هٰذا الحق الذي لزموه وعدم التنازل عنه، والثبات علىٰ فعل الأوامر وترك النواهي، وما يترتب علىٰ هٰذا من الأذية كما قلنا، وبذلك يكون هؤلاء هم نقاوة الناس، وهم خيرة عباد الله سبحانه في أرضه؛ لأنهم ورثوا منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام والرسل كما هو معلوم أفضل البشر علىٰ الإطلاق، فمن سلك مسلكهم وورث إرثهم وعمل علىٰ هديهم وسنتهم، فلا يرتاب أنه قد صار في خلص عباد الله سبحانه، ولهٰذا أفضل ما يتقرب به إلىٰ الله سبحانه هو العلم لمن عمل به، كما قال الإمام أحمد لما سئل عن أفضل الأعمال؟ قال: «العلم لمن أصلح الله نيته»، قال يحيىٰ بن يحيىٰ رحمه الله تعالىٰ لما سئل أيهما أفضل الذب عن السنة -يعني الدفاع عن الاعتقاد وعن السنة وعن الإسلام- أو الجهاد في سبيل الله؟ قال: «بل الذب عن السنة»، فقيل له: المجاهد يبذل ماله ويتعب ويكون الذب عن السنة أعظم من الجهاد؟ قال: نعم بكثير، يعني أن الفرق كبير جدًا بين الذابّ عن السنة والمنافح عن دين الله سبحانه، الراد لشبهات أهل الإلحاد والزيغ والضلال والتنصير والروافض، وشبهات المشركين والمخرفين، والناشر للسنة يكون هٰذا أعظم عند الله تعالىٰ وأرفع بكثير من المجاهد في سبيل الله، مع أن الجهاد في سبيل الله لا يخفىٰ المقام العظيم الذي جعل الله تعالىٰ لأهله، ولهٰذا اختار الشافعي واختار أحمد وعدد من أهل العلم رحمهم الله أن العلم أفضل ما يتقرب به إلىٰ الله سبحانه بعد الفرائض، وهٰذا الصحيح إن شاء سبحانه لمن أصلح الله نيته وعمل بما تعلم.

قال الشافعي -والمراد به الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، توفي سنة خمس ومائتين، وهو تلميذ الإمام مالك، وشيخ الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعا، ذكر النقل عنه هكذا-: «لو ما أنزل الله حجة علىٰ خلقه إلا هٰذه السورة لكفتهم»، يعني أن هٰذه السورة التي قد يستسهل بعض الناس أمرها لو أنه لم ينزل سواها لكانت حجة كافية علىٰ الناس؛ لعظم وكبر مدلولات هٰذه الآيات في هٰذه السورة.

ورد عنه رحمه الله بلفظ آخر رواه البيهقي في مناقب الشافعي وغيره أنه قال: «أكثر الناس في غفلة عن تدبر هٰذه السورة» وكما قال رحمه الله، لذلك تجد كثيرًا من الناس يقرأ هٰذه السورة بسرعة، ربما قرأها في نفس واحد مع ما فيها من هٰذا التفصيل الكثير في معانيها وفي مدلولات ما يكون به السلامة من الخسر الذي يلزم الناس جميعًا، إن الإنسان لفي خسر، ما الذي يُنجي الناس من هٰذا الخسر؟ هٰذه الأمور الأربعة.

ثم ذكر قول البخاري، وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة رحمه الله تعالىٰ، صاحب الصحيح المشهور رحمة الله تعالىٰ عليه، ذكر بابًا في كتاب العلم قال فيه: «بابٌ العلم قبل القول والعمل» وهٰذا هو الواجب علىٰ المسلمين أن يتعلموا قبل أن يعملوا، العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، فأمر الله تعالىٰ هنا بالعلم ثم أعقبه بالاستغفار، وأصل هٰذه الكلمة وردت عن سفيان رحمه الله تعالىٰ، وضمّنها البخاري رحمه الله تعالىٰ في صحيحه.

أحسن الله إليك قال رحمه الله:

اعلم -رحمك الله- أنه يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هٰذه المسائل والعمل بهن، الأولىٰ: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل].

بدأ رحمه الله تعالىٰ بذكر المسألة الأولىٰ التي يجب أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة، الأمر الأول: أن الله تعالىٰ هو الذي خلقنا سبحانه وبحمده، فهو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة] فالله تعالىٰ هو الذي خلقنا، وهو أيضًا الذي رزقنا وأمدنا ﷻ بهٰذه النعم، ورزق الله سبحانه للعبد مستديم، فما طرفت عين، ولا خطت قدم، ولا أخذ إنسان نفسًا ولا رده، ولا وجدت نعمة من نعم الدين والدنيا إلا من رزق الله ﷻ، فرزق الله ﷻ للعبد في سائر أحواله مستديم مستمر، فاستحق -سبحانه- أن يعبد وحده، وهو -عز اسمه- من فضله ومنته لم يترك العباد ضائعين مهملين، ولهٰذا قال: «ولم يتركنا هملا» لما خلق الله الخلق لا شك أنه -عز اسمه- خلقهم لحكمة عظيمة بينها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، الخلق كيف يهدون؟! جعل الله جل وعلا فيهم الفطرة، والفطرة وحدها لا تكفي في معرفة تفاصيل ما أوجب الله تعالىٰ وما نهىٰ عنه، ولهٰذا أرسل الله تعالىٰ الرسل، ولهٰذا قال المصنف: «بل أرسل إلينا رسولا»، والمرسل إلينا هو حظنا من الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين جميعًا، أرسله الله تبارك وتعالىٰ إلينا، والرسول هو مَنْ بُعث لأهل العلم كلام في المقصود بالرسول، فمنهم من يقول: إن الرسول من بعث بشرع من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ وهٰذا قول مشهور عند كثير من أهل العلم.

والقول الثاني -الذي اختاره شيخ الإسلام رحمه الله في النبوات ولعله أقوىٰ-: أن الرسول من بعث إلىٰ قوم مخالفين، والنبي يبعث في قوم مؤمنين، فكلاهما يوحىٰ إليه، وكلاهما يبعث، استدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٥٢]، يقول رحمه الله: فذكر إرسالًا يعم النوعين، ذكر أنه يرسل الرسول ويرسل النبي، ولكن الفرق أن الله يرسل

الرسول إلىٰ قوم مخالفين، فيجد من العنت والمشقة أشد مما يجد النبي؛ لأن النبي يرسل إلىٰ قوم مؤمنين، فمن هنا قال رحمه الله تعالىٰ: «إن الرسول من بعث إلىٰ مخالفين، والنبي من يبعث في قوم مؤمنين»، واستدل أيضا بقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ [المائدة: ٤٤] التوراة أنزلت علىٰ موسىٰ، وموسىٰ أرسل إلىٰ كافر وهو فرعون، فهو رسول، الذين من بعد موسىٰ من أنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بالتوراة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ يعني أنهم يحكمون تابعين لرسول قبلهم، فالأنبياء يكونون مبعوثين في مؤمنين، ويكونون عاملين بشرع رسول قبلهم، قال: أما الرسول فضابطه أن يبعث إلىٰ مخالفين، نبينا ﷺ لا شك أنه بعث إلىٰ مخالفين وهو أفضل الرسل جميعًا صلوات الله وسلامه عليه، كما يأتي إن شاء الله تعالىٰ في تفاصيل الكلام في الأصل الثالث.

لما أرسل الله لنا هٰذا الرسول الكريم، من أطاع هٰذا الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار؛ لأن الرب ﷻ هو الذي أرسله فصارت طاعة هٰذا الرسول من طاعة الله، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فلا درب ولا سبيل إلىٰ الجنة بتاتًا إلا باتباع رسول الله ﷺ، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل] فمن أطاع هٰذا النبي الكريم ﷺ نجا، ومن عصاه هلك كما هلك فرعون وكما هلك أعداء الرسل ممن أبوا طاعته.

قال رحمه الله:

الثانية: أن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد في عبادته، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن].

لما كان المعبود بحق هو الله وحده لا سواه، وكان كل معبود سواه تعالىٰ فهو باطل، فإن الله لا يمكن أن يرضىٰ بأن يشرك أحد معه تعالىٰ في العبادة، بل هٰذا هو الذنب الأعظم، والجرم الذي لا يغفر، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾ [المائدة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر]، فالله لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد في عبادته، مطلقًا أيًا كان هٰذا الذي أشرك مع الله، قال: «لا ملك مقرب ولا نبي مرسل» لم نص عليهما؟ لأنه قد يأتي من يقول إن للأنبياء مقامًا عظيمًا وإن الله اصطفاهم، وإن ملائكة الله عليهم الصلاة والسلام بالمقام العالي وبالمكانة العظيمة عند الله تعالىٰ، فقد يحمله ذلك علىٰ أن يعظم الأنبياء أو المرسلين تعظيمًا مبالغًا فيه، فيقال: يحصل الشرك حتىٰ لو صرفته لنبي أو لملك، قد نص الله تعالىٰ في كتابه علىٰ آية ينبغي أن يحفظها طالب العلم؛ لأنها من الآيات ذات المدلول العظيم في جانب التوحيد، وبيان ضده وهو الشرك، يقول تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ٨٠﴾ [آل عمران] فبيَّن أن الرسول لا يمكن أن يأمر بأن يعبد حتىٰ الملائكة وحتىٰ الأنبياء، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ﴾ ثم قال: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ بيانًا لكون من صرف العبادة للأنبياء فإنه يكفر ويشرك، ومن صرفها أيضًا للملائكة فإنه كذلك يكفر ويشرك، ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استبعد أن يأمركم النبي المرسل إليكم بأن تشركوا بالله تعالىٰ ولو ملائكته، ولو أنبياء، فأنتم قد أسلمتم ووحدتم فلا يمكن أن يأمركم النبي بالشرك بعد ذلك، ولهٰذا قال الله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن] قوله هنا: «أحدًا» هٰذه نكرة في سياق النهي، وعندنا قاعدة: «النكرة في سياق النهي تفيد العموم»، مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكهف] يعني: أيَّ أحد، يستحيل أن يظلم الله تعالىٰ أي أحد، كائنًا ما كان مطلقًا، فلا يظلم من خلقه أحدًا أيًا كان هٰذا المخلوق، قوله هنا: ﴿

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ﴾ أي فلا تعبدوا ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أيًّا كان هٰذا المعبود ملكًا نبيًا صالحًا جنيًا شجرًا حجرًا أيًّا كان، فالواجب أن يفرد الله تعالىٰ بالعبادة ولا يشرك معه أحد فإن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه أحد كائنا من كان.

قال رحمه الله:

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ رضي الله عنهم رضي الله عنه بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

هٰذه المسألة الثالثة العظيمة هي مسألة الولاء والبراء، الذي يطيع الله حقًا، ويطيع الرسول ﷺ، ويوحد الله -عز اسمه- بالتوحيد الذي أمر الله به، لا يحل له أن يوالي أعداء الله سبحانه، وأعظم أعداء الله هم الكفار، الذين عادوه تبارك وتعالىٰ، واستعانوا بما أنعم به عليهم في شركهم وكفرهم وضلالهم، فلا يحل لمن أطاع الرسول ﷺ، ولمن وحد الله وأكرمه الله بالسلامة من الكفر أن يوالي هؤلاء الذين هم أبغض الناس إلىٰ الله، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة] فهم شر عباد الله.

أمر الولاء والبراء حصل فيه خلط كبير جدًا في الأزمنة الأخيرة، وما كان هٰذا الخلط موجودًا عند أهل السنة بتاتًا؛ لأن هٰذه المسألة من المسائل العقدية التي يستدل عليها بالنصوص وهي جلية بحمد لله تعالىٰ واضحة، لكن إذا تعومل معها بغير طريقة النصوص وفهم السلف الصالح رضي الله عنهم فإن الضلال يقع فيها، عقوبة وجزاء وفاقًا لمن خرج عن فهم نصوص الكتاب والسنة علىٰ غير طريقة السلف، السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم لم يعتقدوا فقط، بل اعتقادهم مطبق؛ لأن الله تعالىٰ مكّن لهم في الأرض، وصار تطبيقهم للإسلام جليًّا في واقع أنفسهم وفي الدولة الإسلامية علىٰ امتداد التاريخ الذي كان هو موضع الاستدلال والاستشهاد الذي كان وفق إجماع محوطًا بعلم نافع، وبأئمة جعل الله تعالىٰ لهم الإمامة في الدين، تناول الولاء والبراء طائفتان ضلتا عن الحق؛ أما الطائفة الأولىٰ: فهم الهمج الرعاع من الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين من عبيد الغرب، من حثالات العلمانيين والليبراليين ممن أرادوا ضرب الولاء والبراء بأسره، ويظن هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يعلمون يظنون أن هٰذه الجبال الشامخة في دين الله يمكن أن يأتي هؤلاء الأقزام السخفاء ويسقطوها، الولاء والبراء

يستحيل أن يسقطه أحد، آيات الولاء والبراء أكثر من آيات الصوم، وأكثر من آيات الحج، كثيرة جدًا لا تستطيع أمة بأسرها أن تسقط الولاء والبراء، الولاء والبراء من أصل دين الله سبحانه، فمثاله مثال من يريد أن يجحد الصوم، مستحيل هٰذا الأمر لو أردت أن تخفي آيات الصوم وأحاديث الصوم مستحيل هٰذا الأمر، فالولاء والبراء عقيدة يدين بها المؤمن، فيوالي أهل الإيمان، ويعادي أعداء الله سبحانه، ممن أبوا الانصياع لأمر الله تعالىٰ وأمر رسوله ﷺ.

أما هؤلاء الهمج فإنهم يريدون أن يجعلوا المسألة ذائبة، لا يكون فرق بين مسلم ونصراني ويهودي وكثيرًا ما يعبّرون بتعبيرات فضفاضة، مثل عبارة كوننا جميعًا من البشر وتضمنا الإنسانية ونحو ذلك من العبارات التي يريدون أن يذيبوا فيها هٰذه العقيدة العظيمة، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فالولاء والبراء جزء عظيم، وركن ركين من الاعتقاد لا يمكن بحال من الأحوال أن يزحزحه هؤلاء، هٰذا فيما يتعلق بالصنف الأول الذي أراد أن يضرب عقيدة الولاء والبراء.

الصنف الثاني: الذي بالغ وجاوز الحد الشرعي والنهج العلمي والأسلوب الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم في التعامل مع أمر الولاء والبراء وفق النصوص، وهدي رسول الله ﷺ وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم، المؤمن أعظم أهل الأرض إنصافًا، وظل المسلمون منصفين، لا يخفرون بذمة، ولا ينقضون عهدًا، وضربوا في ذلك الأمثلة التي لو عرضها الواحد منا لمضت الساعات الطوال ولم تنتهِ، هٰذه المسألة فكون الإنسان يعادي أعداء الله لا يعني أن يظلمهم، الفرق كبير جدًّا بين معاداة أعداء الله سبحانه وبين الظلم، الظلم أيها الإخوة مثل الزنا، فكما أنه لا يحل أن تزني بمسلمة ولا كافرة، فالظلم من حيث هو لا يحل أن توقعه لا علىٰ مسلم، ولا علىٰ كافر، ولا علىٰ دابة، حتىٰ قال الحسن البصري رحمة الله تعالىٰ عليه في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ [الانفطار] قال: الأبرار الذي لا يؤذون الذر، ما الذر؟ النمل الصغار هٰذه، المؤمن لا ضرر منه، وإذا أراد أن يعاقب، أو أراد أن يقاتل، أو أراد أن يكافئ، فإن كل ذلك علىٰ بصيرة وعلىٰ علم.

ومن هنا بالغ أناس في فهم موضوع الولاء والبراء مبالغة شديدة، فقلصوا الولاء الذي هو لأهل الإسلام علىٰ من اشتهوا، وجعلوه خاصًّا بمن يقول بمقولتهم، فمن قال بمقولتهم فإنه يوالىٰ، ومن خالفهم ولو مخالفة علمية فإنه يعادىٰ، وهٰذا ابتداع بلا أدنىٰ شك، هٰذا ضرب من ضروب البدعة، ونوع

من التحزب المقيت الذي نهت عنه النصوص، وأمر الله فيه بالجماعة وهو خارج عن مسلك العلم؛ لأن العلم طرح مسائل وترجيحها وفق أدلة، أما أن تقول: هٰذا هو الصواب وإن لم تقل به عاديتك، فما هٰذا بمنهج السلف بلا أدنىٰ شك، بل هٰذا منهج جهول دال علىٰ قلة علم وقلة بصيرة من فعله.

البراء من الكفار لا يعني بحال من الأحوال أن تُتخطىٰ حدود الله وأحكامه المتعلقة بهم من مثل حفظ عهودهم ووجوب رعايتها باسم البراءة منهم، فقد كان رسول الله ﷺ أعظم الناس تطبيقًا للبراءة من أعداء الله، وكان أصحابه رضي الله عنهم من بعده أعظم الناس تطبيقًا للبراءة من أعداء الله، ولكن كان لهم هدي واضح في التعامل مع الكفار.

الكفار نوعان:

النوع الأول: المحاربون، وهم الذين ليس بيننا وبينهم أي عهود أو مهادنة، فهؤلاء لا عجب أن نغزوهم أو يغزونا، لا عجب أن نهاجمهم أو يهاجمونا؛ لأن الوضع القائم بيننا وبينهم هو وضع الحرب.

الصنف الثاني: هم من بيننا وبينهم عهد، كالذمة، فعهد الذمة ماذا سمي؟ سمي بذمة الله وذمة رسوله ﷺ، لأن هٰذا الذي أعطي لهم، أعطي لهم باسم الله سبحانه، وأعطي لهم منسوبًا إلىٰ دين رسول الله ﷺ، فمن أخفر هٰذا الأمر المتعلق بأهل الذمة فإنه لا يكون متعديًا علىٰ كافر فقط؛ وإنما مخفرا لعهد الله سبحانه، ولهٰذا جاء فيه الحديث العظيم: «**من قتل معاهدا لم يجد رائحة الجنة**» لم هٰذا التشديد العظيم؟ قد يقول: هو كافر نقول النظر إلىٰ كفره هو نظر الجهول، لكن هٰذا الكافر أعطي عهد الله سبحانه، فقتلك إياه باسم البراءة منه هٰذا خارج حدود الشرع، ولذلك فيه هٰذا الوعيد الشديد الذي لا يُذكر إلا في الموبقات العظام، من قتل معاهدًا وإن كان كافرا؛ معلوم أنه ما صار معاهدًا إلا أنه كافر، لو كان مسلمًا ما سمي معاهدًا، لم يجد رائحة الجنة -نسأل الله العافية والسلامة-.

فلا يحملنا الحماس والمبالغة علىٰ أن نظلم، لأنه كما قلنا الظلم كالزنا لا يحل أن تزني بمسلمة ولا بكافرة، ولا يحل أن تظلم مسلماً ولا كافراً، ولهٰذا لما جاء حديث معاذ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، في مسند أحمد قال ﷺ: «**وإن كان كافرًا**» يعني لو ظلمت كافرًا، ودعا عليك هٰذا الكافر فسيجيب الله دعاء هٰذا الكافر الذي هو عدو له تعالىٰ فيك أنت وإن كنت مسلمًا؛ لأنك ظلمت، فتخطيت حدود الله سبحانه بظلمه.

فالأمة أيها الإخوة أمة محمد ﷺ ليست أمة فوضىٰ، أبعد الأمم علىٰ الإطلاق عن الفوضىٰ أمة

محمد ﷺ، ولهٰذا بقي أهل الذمة فيها لا يقال: سنين، بقوا قرونًا محوطين بالعهد الذي أعطي لهم، وضرب المسلمون في هٰذا أعظم أنواع الأمثلة العجيبة في الوفاء بهٰذه العهود، وعدم إخفارها، سواء في شكل أفراد أو في شكل معاهدات بين المسلمين وبين الكفار كما في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه كان بين معاوية رضي الله عنه وبين الروم عهد، فلما اقترب العهد من نهايته، معاهدة مدة معينة، يعني كأنها مثلا تنتهي علىٰ سبيل المثال الشهر القادم حرك معاوية رضي الله عنه الجيش قبل نهاية المدة، لم يبدأ بالقتال لكن أراد أن يحرك الجيش بحيث يبغت الروم مباشرة ساعة ينتهي العهد؛ لأن الروم مثلا كانوا يقولون بقي عليهم عشرون يومًا فلا يفجأهم إلا مع أول يوم تنتهي فيه المعاهدة وإذا بالمسلمين قد داهموهم فجاء عمرو بن عبسة رضي الله عنه وكان قديم الإسلام جدًّا وكان رجلًا مسنًا علىٰ دابة يقول: الله أكبر وفاء لا غدر، الله أكبر وفاء لا غدر، فسمعه معاوية فأمر بأن يحضر، ماذا يريد يعني بهٰذه العبارة؟ فقال له: إن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد العقدة إلا إذا انتهىٰ الأجل**»، فرجع معاوية بالجيش كاملًا، رجع من جديد جيش بأكمله، تعرف إقامة جيش ليس بالهين فرجعوا من جديد؛ لأنه لا يحل لمسلم أن يغدر، وقال ﷺ: «**ينصب لكل غادر لواء يقال هٰذه غدرة فلان بن فلان**» حتىٰ لو غدر بكافر.

فهٰذه الأمة؛ أمة علم وضبط، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] والبصيرة لا تكون إلا بالعلم، فيجب أن تتعلم هٰذه الأحكام، نبرأ إلىٰ الله من أهل الكفر، نتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بعدائهم، نبغضهم في الله سبحانه لكن لا نظلمهم، ولا نتعدىٰ لأن التعدي نوع من أنواع مخالفة الشرع، ومحاولة طمس الولاء والبراء نوع من طمس الشرع، وهٰذه الأمور أيها الإخوة ينبغي أن يعلم طالب العلم في مسائل الاعتقاد كلها أنها دائما يعتورها طرفان باطلان؛ أهل الإفراط من جهة، وأهل التفريط من جهة، في سائر مسائل الاعتقاد، في الصفات وجد المشبهة ووجد المعطلة، في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وجد إفراط وتجني وتعدي الرافضة وسوء مقالتهم بشأن الصحابة ووجد من يغلو في الصحابة رضي الله عنهم ويدعوهم من دون الله سبحانه، في القدر وُجد من يغلو غلو القدرية ووجد أيضًا من يقابلهم من الجبرية، وهكذا سائر المسائل تجد فيها إفراطًا وتفريطًا، فإياك أن تكون من أهل الإفراط أو التفريط؛ لأن معنىٰ ذلك أنك ضال، من سلك المفرطين أو المفرّطين فقد

الراعي الرسمي
الشيخ عبد الله بن محمد الخراشي
غفر الله له ولوالديه ولذريته

ضل؛ لأن الحق بينهما ﴿ وَكَذَٰلِكَ رضي الله عنهم رضي الله عنه وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال ﷺ: «**عدلا**»، وبيَّن المفسرون أن من الوسط الذي دلت عليه الآية أن تجد الإنسان لا ينحو منحىٰ أهل الإفراط ولا منحىٰ أهل التفريط، فلا طريقة الليبراليين الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين، الذين أرادوا أن يطمسوا هٰذه ويخسأون، لا يمكن أن تطمس هٰذه أمور رب العالمين ﷻ هو الذي يتولىٰ عز اسمه بقاءها في الأمة، لا يستطيع أن يطمسها أحد كائنا من كان لكنهم لا شك أنهم يشوشون ويسببون إشكالات كثيرة حولها ولا سيما مع الجهال، ولا نتعدىٰ ولا نتجاوز حدود الله، ولسنا أغير علىٰ دين الله من رب العالمين، ولا من نبيه ﷺ، ولا من الذين كابدوا وعايشوا أهل الكفر؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ممن قاتلوهم وجاهدوا وبيّنوا فرق المحارب عن المعاهد وتعاملوا مع هؤلاء بمعاملة، ومع هؤلاء بمعاملة، فلا يحل لأحد أن يأتي إلىٰ مسألة من هٰذه المسائل الشرعية العقدية ويعبث بها وفق هواه، وإنما هٰذه مسألة تفهم وفق طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم بلا إفراط وبلا تفريط.

استدل علىٰ البراءة من أهل الكفر بالآية العظيمة ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، من أعظم ما يمكن أن يضعف الإنسان عنده الأب، ثم الابن، وهكذا الإخوان والعشيرة ذكرهم الله تعالىٰ إذا حادوا الله سبحانه وثبتت منهم المحادة لله تعالىٰ فإنهم لا يوالون ولا يحل مودتهم في هٰذه الحالة ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ يعني الذين صنعوا هٰذا الصنيع من المؤمنين ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ رضي الله عنهم رضي الله عنه بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

لكن ثمة مسألة كبيرة الأهمية في موضوع الكفار، ويعاني منها الحقيقة المقيمون هناك في بلاد الكفر معاناة أكثر من معاناة غيرهم، وإن كانت المعاناة عامة وهي أن عددًا غير قليل الله سبحانه وحده هو الذي يعلم أعدادهم، لكن مما لا شك فيه أنهم أعداد كبيرة جدًّا قد تتجاوز الملايين عدد من أهل الكفر جهلة لا يفقهون، قد بيَّن تعالىٰ في سبب إجارة الكافر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة]، فكثير من الكفار لا يعلمون حقيقة الإسلام، فلا شك أن من الواجب الكبير علىٰ أمة محمد ﷺ أن تقيم الحجة علىٰ هؤلاء الكفار، فإذا تجلت وتبيّنت لهم حقيقة الإسلام وأبوا، فعند ذلك قد اتضح السبيل وأبوا أن يقروا، لكن واقع الحال في كثير من بلاد الكفر وأمر متواتر تواترًا وصل إلىٰ الأرقام القياسية في الأرض، أن عددًا منهم لا يفقه الإسلام، ولا يدريه، ولم يعرف لشدة تقصير أهل الإسلام أولا في نشره، ثانيا لشدة ما يحال بين أولئك الكفار وبين الوصول إلىٰ حقيقة الإسلام، ولهٰذا تجد مواقف من إسلامهم في بعض الأحيان بكميات هائلة من البشر لمجرد أن يعرض عليهم الإسلام أدنىٰ عرض، وفي هٰذا -يعني وقائع عجيبة للغاية- في إسلام أناس بأعداد هائلة إذا أحصوا في العام الواحد وجدوا بالملايين، ولهٰذا الإسلام هو الدين الأول في الأرض من جهة الانتشار، لا يوجد دين يجتاح الأرض من جهة من يعتنقونه قبل الإسلام، لا النصرانية ولا اليهودية ولا البوذية ولا أي دين آخر، هٰذا ماذا يستدعي؟ يستدعي شدة نشر الإسلام والحرص علىٰ إيصال هٰذه الرسالة العظيمة التي سيسأل الله تعالىٰ عنها هٰذه الأمة، قال الله تعالىٰ في القرآن: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف] سوف تُسئل هٰذه الأمة، قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] لا بد أن يبلغ الإسلام، فإذا بلغوا وأبوا فلا شك أنهم أهل كفر وأهل عناد، لكن الإشكال في تقصير أمة محمد ﷺ من قبل عدد غير قليل من أهلها بحيث لا يعرف الإسلام أصلًا فعند ذلك لو عرفه كثير من هؤلاء الكفار لأسلموا وصاروا أخوة لنا، وربما كانوا أعلىٰ مقامًا منا عند الله سبحانه، فنحيل تقصيرنا في مثل هٰذه الحال، ونحيل الكلام إلىٰ مجرد بغضهم، بغضهم دين يدان الله سبحانه به، البراءة منهم دين لا يمكن أن تزلزل هٰذه المسألة في عقيدة المسلمين، لكن إذا كان الواحد منا مقصرًا تقصيرًا عظيمًا في إيصال الإسلام؛ فإن عليه جزءا من المسؤولية؛ لأن الله تعالىٰ أكرمه بهٰذا الإسلام ومَنَّ عليه من بين ملايين من الخلق بالإسلام، فالواجب عليه أن يسعىٰ في نشر الإسلام بحيث إذا عصىٰ الكافر وأبىٰ الإسلام يكون عن عناد، ويتضح بذلك أنه من الهالكين، لكن أن يبقىٰ لا يدري بالإسلام، ولا يعرف بتاتًا بشيء هو دين بعث به نبي، وأنزل الله به كتابًا، وللأسف الشديد يقابل كثير من الكفار من قبل عدد من المسلمين ولا يعرض عليهم الإسلام، ولا يعطىٰ ولا شريطًا بريال واحد عن الإسلام، ولا كتاب صغيرًا بريال واحد عن الإسلام يذهب كثير من الناس لمجرد مصالحهم

المادية؛ تجارة ونحوها، ويعود وربما كان الواحد منهم يتردد علىٰ بلاد الكفر بالعشرين وبالثلاثين سنة يتاجر ولم يدعُ واحدًا، هٰذا تقصير كبير جدًّا، تقصير كبير، ولهٰذا جزء غير قليل من جهل أهل الكفر راجع إلىٰ تقصير عدد من المسلمين، ولا نقول جميع المسلمين لا نجرم المسلمين؛ لأنه لو وقع هٰذا من جميع المسلمين لأثمت الأمة، الأمة ولله الحمد لا يزال فيها من يدعو إلىٰ الله ويصبر ويصابر وينافح، لكن لا شك أن حاجة الدعوة من جهة النشر وتوسيع نطاقاتها إلىٰ أهل تلك اللغات، وتلك الأماكن لا شك أنها كبيرة جدًّا، فعند ذلك تسلم أعداد غفيرة للغاية، إلىٰ حد أنه يسلم في بعض الأحيان من آثار محاضرة واحدة أكثر من ألف ما معنىٰ هٰذا؟ معنىٰ هٰذا أن لو وسع النطاق لكانت الأعداد بالملايين بالأضعاف الموجودة.

ولهٰذا ينبغي أن يلاحظ في أمر الولاء والبراء أمر مهم للغاية؛ وهو أن التقصير في الدعوة إلىٰ الله سبحانه يوجِد نوعًا من المسؤولية علىٰ هٰذه الأمة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم حملوا الإسلام، ولم يقدموا علىٰ أمر الدعوة إلىٰ الله سبحانه أي شيء، مضت أعمارهم وحياتهم، واستثمروا أموالهم وطاقاتهم كلها في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة، ولهٰذا أسلمت الأمم، الذي يعرف التاريخ الإسلامي يعرف أن ثمة قبائل بأسرها، قبائل كاملة بأسرها ودولًا بأسرها، وديارات كثيرة بأسرها دخلت في الإسلام جميعًا، لكن بعد فضل الله سبحانه هناك حرص ودأب كبير من أسلافنا رضي الله عنهم علىٰ نشر الإسلام، أما أن يقع التقصير في أصل نشر الإسلام فذلك يقتضي إعادة النظر في طريقة إيصال هٰذا الدين لهٰذه الأمم التي تهلك بالملايين بالسنين، ولم يصلها الإسلام حتىٰ تكون معادية له أو تكون موالية له.

ولا نحب يعني أن نذكر أمثلة تفصيلية أو وقائع؛ لأن المقام لا يقتضي هٰذا لكنها في الحقيقة عجائب تدل علىٰ شدة التقصير، فنعم يبرأ إلىٰ الله من كل كافر ونَدين لله سبحانه ببغضهم، لكن لا نجعل كسلنا في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ مبررًا؛ لأن أولئك الكفار يعني خذ يا أخي الكريم هٰذا الآن الإمام البخاري ما اسمه؟ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه، من هو بردزبه؟ هٰذا جده مجوسي أسلم ولهٰذا انتسب البخاري إلىٰ بني جعف فقيل بن بردزبه الجعفي، أسلم بردزبه فسمىٰ ابنه إبراهيم، إبراهيم سمىٰ ابنه إسماعيل، إسماعيل ولده الإمام البخاري الكبير محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح فهؤلاء إذا دعوا نعم إذا تأبوا ولكن أن يجهلوا أصل الإسلام ولا يدروا به، ويكون هناك حتىٰ تشويش من قبل أعداء الله

موقع مسجد النخيل
بحي العريجاء في مدينة الرياض
www.mnakhil.com

الراعي الرسمي
الشيخ عبد الله بن محمد الخراشي
غفر الله له ولوالديه ولذريته

من أهل الإعلام الإجرامي من أهل الكفر، وفيه تقصير من أمة محمد وفيه أمثلة سيئة جدا يعرضها كثير من المسلمين للأسف الشديد عن الإسلام تؤدي إلىٰ تشويه الإسلام، ثم يقال: لا بد أن نبرأ منهم، نعم نبرأ منهم، بلا أدنىٰ ريب البراءة منهم ولكن إذا قصرنا نحن في إيصال أصل الإسلام لهم فهٰذا لا شك أن علينا تبعته، فيجب علىٰ المسلم أن يأخذ الأمور متوازنة، وأن لا يفهم مسائل الولاء والبراء كيف ما اتفق، وكما يحلو له وكما يشتهي؛ فإن أصل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ولا يحجم هٰذا الولاء، لا يقول أوالي من يكون معي من المسلمين، ومن خالفني أعاديه.

الجامع هو طريقة رسول الله ﷺ من كان عليها فإنه يوالىٰ حتىٰ لو خالفك، أو صار بينك وبينه مواقف شخصية وغير محمودة، فلا تجير أمر الولاء وتصغره ليكون وفق طائفة أو حزب أو جماعة محدودة، إنما من كان علىٰ السنة أو علىٰ العقيدة السوية -عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم- هٰذا يوالىٰ وإن كان في أقاصي الأرض، ومن كان عندهم غلط وبدعة فإن كانت بدعته ليست مكفرة فإنه يوالىٰ بقدر ما عنده من الصواب، ويعادىٰ بقدر ما عنده من الخطأ والضلال، وهكذا العصاة يبغضون بقدر ما عندهم من المعصية، ويحبون ويوالون بقدر ما عندهم من الإيمان، فيكون عند الإنسان توازن؛ لأن الولاء والبراء علىٰ ثلاث مراتب:

المرتبة الأولىٰ: البراء العام، وهٰذا من الكفار.

الثانية: الولاء المطلق، وهٰذه لأهل الإيمان والثبات علىٰ الحق والمنهج السوي.

الثالثة: من يوالىٰ من جهة ويبرئ منه من جهة، كحال العاصي يبغض لما عنده من معصية، ولكنه يوالىٰ -العاصي من المسلمين- يوالىٰ بحسب ما عنده من الإسلام والإيمان.

ومن المهم يعني في هٰذا الباب أن ينبه طلاب العلم إلىٰ عدم تلقي مثل هٰذه المسائل عمن هب ودب؛ لأن ثمة مسائل أيها الإخوة في مسائل العقيدة فيها نوع خفاء، تصدّر لها بعض من صنفوا بعض من تكلموا بعض من خطبوا، وليسوا من أهل التحقيق، بل كثير من مباحث مسائل العقيدة لا يعرفونها للأسف الشديدة، وخاضوا في المسائل الكبار بعض المسائل ما خطورتها؟ بعض المسائل خطورتها أن فيها جانبًا تطبيقيًا، يعني بعض المسائل فيها جانب تطبيقي علىٰ سبيل المثال مثل الإيمان بالجنة والنار والغيبيات هٰذه يقل أن يكون فيها جانب تطبيقي، لكن مثل الولاء والبراء يكون فيها جانب تطبيقي، فإذا خلط فيها أحد قد يستحل دم مسلم، فيقول: يحل قتل هٰذا لماذا؟ لأنه قد يكفره وليس بكافر مثلا، أو

يحل دمه لأمر لا يحل الدم معه وإن كان خطأ، فبعض المسائل خطرة جدًّا إذا حصل فيها خلل.

ولهٰذا يؤكد علىٰ طلبة العلم أن يأخذوا هٰذه المسائل عن كبار المشايخ، ولهٰذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم عن أصاغرهم هلكوا» لأن الأصل أن يؤخذ العلم عن أهله الكبار ممن هم أكثر رسوخًا في العلم وأقدم تجربة وأبعد عن سرعة الشباب وتعجله، فيؤخذ العلم عن الأكابر هٰذا هو الأصل، ولا سيما المسائل التي قد يكون فيها شيء من الخلاف والنزاع ترد لأهل العلم، الأصل أن ترد، أما أن تكون هذه المسائل -كما هو حاصل- يخوض فيها من يعرف ومن لا يعرف وكأنها وجهات نظر، بعض مسائل الاعتقاد التي خاض فيها كأنها وجهات نظر ما رأيك؟ وما قولك؟ لا يحل مثل هٰذا، الأمر خطير جدًّا أن يتحدث في مثل هٰذه الأمور علىٰ غير بصيرة وعلىٰ غير علم.

أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله: اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] ومعنىٰ يعبدون يوحدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد؛ وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك؛ وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٣٧].

نعم ذكر الله تعالىٰ نفس الوضع قال: اعلم، وقوله اعلم وفي الموضع الأول تقال عند المسائل العظيمة المهمة، إذا أردت أن تنبه وتلفت نظر طالب العلم، وقد وردت في كتاب الله في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] لما ذكر التوحيد ذكر فيه اعلم، وهٰكذا كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] فقولك اعلم تكون في المسائل التي تلفت فيها النظر إلىٰ أهمية الموضوع الذي ستتحدث عنه، ثم قال: «أرشدك الله» بأن تستقيم علىٰ الحق أيضًا دعا مرة أخرىٰ، حسن أسلوب مع المتلقي ومع القارئ والسامع، «أن الحنيفية» أصل الحنف هو الميل الحنف هو الميل ومنه سمي الأحنف بن قيس رحمه الله تعالىٰ لأنه كان في رجله حنف أي ميلان، الحنف عن ماذا؟ الحنف عن الشرك، ولذلك سمي دين إبراهيم بالحنيفية لأنه حنف أي مال عن طريقة المشركين كلهم ممن يعبدون الأصنام، ممن يعبدون الكواكب، ممن يعبدون أي شيء سوىٰ الله سبحانه، ولهٰذا سمي بالحنيف؛ لأنه حنف أي مال عنهم، ما الحنيفية التي هي ملة إبراهيم، والملة هي الطريقة الدينية التي سار عليها صلوات الله وسلامه عليه الحنيفية التي هي ملة إبراهيم هي الآتي: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، أن تفرد الله تعالىٰ بالعبادة.

قال: وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها أي لأجلها خلقهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي إن الله ما خلق الخلق إلا ليعبد وحده لا شريك له، ولهٰذا قال: ومعنىٰ يعبدون يوحدون، وليس المقصود أن يُعبد الله عبادة مع صرف العبادة لغيره؛ لأن هٰذا هو الشرك، ولكن المقصود أن يفرد الله بالعبادة، ولهٰذا قال رحمه الله تعالىٰ: وأعظم ما أمر الله به التوحيد؛ ثم عرف التوحيد بقوله: وهو إفراد الله بالعبادة.

التوحيد يحسن أن يعرّف، التوحيد من حيث اللغة: مصدر الفعل الرباعي وَحَّدَ يُوحِّدُ تَوحِيدًا، هٰذا

من حيث اللغة، وحّد الشيء إذا جعله مفردًا وحده، ما التوحيد من حيث العموم التعريف العام للتوحيد؟ هو إفراد الله بما يخصه، ما الذي يختص الله به؟ ثلاثة أشياء: الربوبية، والألوهية التي هي عبادته وحده، والأسماء والصفات.

الشيخ هنا لِمَ عرّف التوحيد بنوع من أنواعه فقال: وأعظم ما أمر به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة؟ لأنه هو الذي كانت فيه الخصمة الكبرىٰ بين الرسل صلىٰ الله عليهم وسلم وبين أعدائهم، ثم هٰذه الخصمة انتقلت فصارت بين ورثة الرسل وبين ورثة أعداء الرسل، فلذلك التوحيد الذي هو محل النزاع والذي لأجله أرسل الله الرسل، ولأجله أنزل الكتب، وصار به الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، ولأجله قامت سوق الجهاد إلىٰ الله؛ هو توحيد العبادة؛ لأن الكفار كانوا مقرين أن الله تعالىٰ ربهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] لكنهم يشركون مع الله تعالىٰ غيره ولهٰذا عرفه بالذي فيه الخصمة وهو إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، فهٰذا هو الذي كان يأبىٰ المشركون أن يبذلوه، ولهٰذا أعظم أمر وأجل ما يصرف فيه الهمة هو التوحيد، ولهٰذا بقي نوح صلوات الله وسلامه عليه ألف سنة إلا خمسين عامًا يقرر التوحيد، ودعوته ودعوة جميع الرسل بيّنها الله تعالىٰ مفصّلة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ رضي الله عنهم رضي الله عنه ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، هٰذه دعوتهم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ في جميع الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والطاغوت في الآية هنا هو المعبود من دون الله إذا كان راضيًا، فهٰذه هي حقيقة دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فهي مسألة يتفق فيها جميع الأنبياء والرسل صلىٰ الله عليهم وسلم، بأن يوحد الله سبحانه، وهو الذي ينبغي أن تنصرف الهمة الكبرىٰ من قِبَلِ الدعاة إلىٰ الله سبحانه فيه؛ لأن أعظم أَمْرٍ أَمَرَ الله به هو التوحيد وكل أوامر الله عز وجل فإنها تأتي بعده، كما في حديث معاذ رضي الله عنه لما أرسله النبي ﷺ إلىٰ اليمن فقال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله**».

ولهٰذا كان علم العقيدة أشرف العلوم علىٰ الإطلاق وأعظمها؛ لأنه هو الذي يبتنىٰ عليه كل شيء

وهو الفقه الأكبر، وأصول الدين العظمىٰ في علم العقيدة، ولهٰذا يا طالب العلم لا تستسهل أمر العقيدة، واستسهل الصعب في تعلمها فإن حاجة الأمة اليوم إلىٰ تعلم العقيدة ردًا علىٰ أهل الإلحاد والفجور وأهل الشبهات والضلال والروافض والمخرفين والمنصرين الحاجة إلىٰ هٰذا كبيرة جدًا، والحقيقة هو أصل دعوة الرسل، أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هو هٰذا التوحيد العظيم.

لما كان أعظم ما أمر الله به، وأعظم ما تنصرف الهمم إليه هو التوحيد؛ عُرِفَ بذلك أعظم ما نهىٰ الله عنه، ولهٰذا قال: وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك، ما الشرك؟ التوحيد عموما عرّفناه بأنه: إفراد الله بما يختص به، الشرك من حيث العموم هو: جعل شريك مع الله فيما يختص به، ما الذي يختص به سواء في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات بم عرفه هنا؟ قال: وهو دعوة غيره معه؛ لأن هٰذا هو أكثر وأغلب الشرك؛ لأن المشركين كما تقدم يقرون لله بالربوبية ما الشرك الذي عظم وقوعهم فيه؟ أن يدعو غير الله سبحانه ويعبدوا غير الله تعالىٰ مع الله، ولذلك سمي بالشرك؛ لأن التوحيد هو إفراد، إفراد الله بما يختص به، وإفراد الله بالعبادة، الشرك أن يجعل مع الله غيره، سواء كان واحدًا أو أكثر، فمن عبد مع الله سبحانه واحدًا أو أكثر فإنه من المشركين، ولهٰذا أعظم ما ينهىٰ عنه وتنصرف الهمم إلىٰ النهي عنه هو أعظم ما تورطت به الناس في هٰذه الأزمنة، وهو أكبر أسباب التخلف والانحطاط والضعف والمهانة هو الشرك، إذا انتشر في الأمة فلا شك أن ذلك يؤدي إلىٰ أن تهون علىٰ الله سبحانه، وأن تضعف الأمة وأن يتفرق شملها -نعوذ بالله من ذلك-.

واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٧] لاحظوا الآية مرة أخرىٰ، عندنا هنا نكرة في سياق النهي كما قال: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن] أحدًا نكرة هنا قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ شيئًا نكرة في سياق النهي فتعم، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أيًا كان هٰذا الشيء من ملائكة من أنبياء، من صالحين، من جن، من أحجار، من أشجار أيًّا كان.

قال رحمه الله:

فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدا ﷺ، فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وكل من سوىٰ الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم، فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]، ومن مخلوقاته السَّمٰوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف].

يقول رحمه الله: فإذا قيل لك ما الأصول؟ الأصول جمع الأصل، والأصل هو ما يبنىٰ عليه غيره، مثل أصل الشجرة، أصل الشجرة تتفرع منها الأغصان، مثل أصل الجدار هو أساسه لا يمكن أن يقوم عليه البناء في الأعلىٰ إلا إذا كان له أساس، إذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها؟ لاحظ أن المصنف رحمه الله تعالىٰ راعىٰ هنا أسلوب السؤال في أول الكتاب يقول: «اعلم أرشدك الله»، «اعلم رحمك الله» هنا الآن -وهٰذه طريقة من طرق التعليم- أن يلقىٰ التعليم بطريق السؤال، ما الأصول الثلاثة؟ إذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ، ويأتي بإذن الله تعالىٰ تفاصيل هٰذه الأشياء لاحقًا إن شاء الله تعالىٰ.

معرفة العبد ربه يكون من خلال النصوص كما قلنا، فتعرف ربك تعالىٰ بما عرّف به نفسه، وبما عرّفه رسوله ﷺ، وتعرف دينك فالدين يؤخذ من النصوص فتتعرف علىٰ ما جاء عن الله أيضًا وعن رسوله ﷺ وكذلك تعرف نبيك محمدًا ﷺ ويكون لك علم لا بد منه بمعرفة هٰذا النبي الكريم الذي رفع

الله تعالىٰ قدره، وجعل له عليك بعده تعالىٰ جعل له المنة بأن أنقذنا الله به بالهداية من الضلال، فلا يليق بالمسلم أن يكون جاهلًا باسم النبي ﷺ مثلا، أو بمعلومات مهمة رئيسة كبيرة لا ينبغي أن يكون جاهلًا بها، فلهٰذا لقن -رحمه الله تعالىٰ في آخر الرسالة- لقن جملة من الأمور ينبغي أن لا تعزب عن المسلم في التعريف بنبي الله ﷺ، ويأتي إن شاء الله الكلام عليها.

يقول أيضًا بطريق السؤال: فإذا قيل لك من ربك؟ أي من هو ربك الذي خلقك وأوجدك وأكرمك تعالىٰ بهٰذه النعم؟ فقل: ربي الله الذي رباني، التربية هي الرعاية بأن يقوم المربي برعاية من يربيه، فكأنه يرىٰ رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية؛ لأنه قال: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمته ﷻ وهو معبودي ليس لي معبود سواه، ما دام هو الذي خلقني من العدم، وخلق الجميع وهو ربي ورب كل أحد ﷻ فلا يصلح أن أعبد غيره، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١] أي أنه تعالىٰ خلقكم من العدم، فهو ربكم فليس من المناسب بتاتًا أن تعبدوا أحدًا سواه، من ربك؟ الله، من الذي خلقك؟ الله، من سوىٰ الله ما هم؟ مخلوقون خلقهم الله فكيف يا عبد تجعل العبادة لعبد مثلك، مع أن هٰذا العبد قد خلقه الله تعالىٰ الذي خلقك؟! فالواجب علىٰ جميع العبيد أن يفردوا ربهم تعالىٰ بالعبادة، ولهٰذا قال: والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة].

ما المراد بالعالم؟ يقول: وكل من سوىٰ الله عالم ودل علىٰ هٰذا جواب موسىٰ عليه الصلاة والسلام لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] فكل ما سوىٰ الله فإنه عالم من الملائكة، من الجن، من الإنس، من جميع المخلوقات فإنه عالم، وهو سبحانه رب لهٰذا العالم كله، فكل ما سوىٰ الله فإنه عالم، يقول: وأنا واحد من ذلك العالم، والله يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فهو رب هٰذا العالم كله ﷻ، فأنا أفرده وحده بالعبادة.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ بأي شيء عرفت الله سبحانه؟ فقل: عرفته بهٰذه الآيات التي نصبها، والآيات هي العلامات الدالة علىٰ من خلقها سبحانه وأوجدها، فقل بآياته ومخلوقاته ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ [فصلت: ٣٧] فجعلها الله تعالىٰ آيات، ومن مخلوقاته السمٰوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، ثم استدل بقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ لأن هناك من كان يسجد للشمس والقمر فقال: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فكيف تسجد للشمس والقمر وهي مخلوقة، قد خلقها الله سبحانه، إذًا اسجد لمن خلقها ومن خلقك ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤].

نقف الآن لأن في يوم الجمعة كما تعلمون، وهي ساعة ينبغي أن لا يخليها المسلم من دعاء؛ لأن في هٰذه الساعة في هٰذا اليوم ساعة لا يدعو فيها مؤمن بشيء من خيري الدنيا والآخرة إلا تقبل الله سبحانه، فيحرص الإخوة علىٰ الدعاء وعلىٰ أيضًا الأذكار المسائية، وإن شاء الله تعالىٰ نعود بعد الصلاة إن شاء الله تعالىٰ، والله أعلم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهٰذا المجلس الثاني في شرح الكتاب الثاني من برنامج التعليم الميسر، والكتاب الثاني هو «ثلاثة الأصول وأدلتها» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالىٰ المتوفىٰ سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بمدينة الرياض، مغرب الجمعة الأول من جمادىٰ الأولىٰ لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري -وفقه الله-.

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ:

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، قال ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: الخالق لهٰذه الأشياء هو المستحق للعبادة، وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن] فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**»، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ رضي الله عنهم [غافر].

بيَّن رحمه الله تعالىٰ في هٰذا الموضع جملة من المسائل: منها معنىٰ الرب، الرب هو الخالق المالك المدبر ﷻ، وهنا ذكر أن الرب هو المعبود، ومراده أنه هو الذي يستحق أن يعبد ﷻ وإلا فقد يتخذ غير الله ربًّا لكن لا يستحق العبادة، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، فهٰذا الاتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا لا شك أنه باطل، وإنما الرب المستحق للعبادة هو الله سبحانه، ولهٰذا أتبعه بقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] قوله تعالىٰ هنا: الذي

خلقكم، صفة كاشفة فيها تعليل لما سبق، اعبدوا ربكم لماذا؟ اعبدوه لأنه ربكم وهو الذي خلقكم ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي خلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي لأجل أن تتقوا، ثم بيَّن سبحانه عظمة ما صنع عز اسمه أن جعل الأرض فراشًا، وجعل السماء بناءًا، وأنزل من السماء هٰذا المطر بإذنه تعالىٰ فأخرج به عز اسمه هٰذه الثمرات، ثم قال: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ الند، هو النظير والمثيل، أي لا تجعلوا لله سبحانه أمثالًا ونظراء تجعلونهم مع الله سبحانه، وأنتم تعلمون أنه تعالىٰ لا ند له واتخاذ الند علىٰ نوعين:

١- تارة يكون اتخاذ الند موجبًا الشرك الكبر كأن يجعل مع الله ندًا يعبده كما يعبد الله ويدعوه ويذبح له.

٢- والنوع الثاني اتخاذ للند دون ذلك، وهو من الشرك الأصغر ومنه قوله ﷺ لمن قال: ما شاء الله وشئت قال: «**أجعلت لله ندًا**» فاتخاذه هنا للند لا شك أنه أصغر.

فنهىٰ تعالىٰ أن يجعل معه ند؛ لأن الله لا ند له، ولأن الخالق المستحق للعبادة هو الله سبحانه وحده فهو الرب الذي أنشأ الناس من العدم وهو الذي خلقهم فهم المستحق لأن يعبد، ولهٰذا أتبعه بقول ابن كثير رحمه الله تعالىٰ: الخالق لهٰذه الأشياء هو الذي يستحق أن يعبد ﷻ.

ثم ذكر أنواع العبادة، العبادة هي التي لأجلها خلق الله تعالىٰ الجن والإنس، وأصلها الخضوع والتذلل، وتكون بما ذكر شيخ الإسلام بأشياء ظاهرة، وبأشياء باطنة من أنواع مما يتقرب به العبد إلىٰ ربه تعالىٰ، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فثمة عبادات ظاهرة يتقرب بها إلىٰ الله؛ مثل الصلاة ومثل الحج هٰذه ظاهرة، وثمة عبادات باطنة؛ كالخوف من الله سبحانه، والمحبة والرجاء ونحو ذلك فهٰذه باطنة في القلب لا يعلم بها إلا الله سبحانه، يجب أن يُفرد الله تعالىٰ بما هو خاص به من هٰذه العبادات ويأتي إليها بإذن الله تعالىٰ تفصيل، ذكر من ذلك الإسلام ويأتي إن شاء الله تعريفه، والإيمان وتقدم تعريفه، والإحسان بيَّنه جبريل عليه الصلاة والسلام بأنه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ بأن يستحضر المؤمن مراقبة الله تبارك وتعالىٰ له، فيعبد الله سبحانه كأنه يرىٰ الله سبحانه، فإذا كان من المحال أن تراه في الدنيا فاستحضر أن الله تعالىٰ هو الذي يراك ويطلع عليك.

ثم ذكر من أنواع العبادة الدعاء، فبدأ به، والدعاء هو أكثر ما يقع فيه الشرك، يقع فيه شرك المشركين كثيرًا ما يدعون غير الله سبحانه، ولما كان الدعاء من أعظم أنواع العبادات قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**الدعاء هو العبادة**»، كقوله ﷺ: «**الحج عرفة**» أي أن معظم الحج عرفة، فمن أدرك عرفة أدرك الحج، لكن من فاتته عرفه فاته الحج، فقوله: الدعاء هو العبادة أي أنه أعظم العبادة، ثمة عبادات أخرىٰ غير الدعاء لكن الدعاء هو أعظم العبادات، ولهٰذا جاء عن أنس أنه قيل له: الدعاء نصف العبادة؟ قال: هو العبادة كلها، فالدعاء شأنه عظيم، فصرفه لغير الله سبحانه بأن يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله لا شك أن هٰذا من الشرك الأكبر، كأن يطلب هداية قلبه أو صلاح ذريته من أحد غير الله سبحانه فإن هٰذا شرك أكبر؛ لأن مثل هٰذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله تعالىٰ.

وذكر من أنواع العبادة الخوف، بأن يخاف الله سبحانه وفي الحقيقة هٰذه المسائل فيها تفاصيل قد يطول الكلام بها، لكن المقام كما قلنا مقام إيجاز، وإلا الخوف منه خوف عادي هٰذا إذا خافه العبد فإنه لا يضره، ومنه ما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ [القصص] هٰذا خوف عادي لا يتقرب إلىٰ الله ويتعبد لهؤلاء الملأ إنما هٰذا أمر عادي كما يخاف الإنسان من السباع، ويخاف من بعض الأشياء المُضرة، فهٰذا الخوف خوف عادي، ولا يقال إنه لا يجوز أن تخاف غير الله علىٰ هذا النوع من الخوف، وإنما المقصود خوف العبادة.

وثمة خوف عظيم وهو خوف السر بأن يخاف الله في سره، وضبطه صاحب تيسير العزيز الحميد رحمه الله بأنه **أن تخاف من غير الله أن يصيبك بمكروه بمشيئته وقدرته ولو لم يباشره**، بأن تخاف من غير الله تعالىٰ أن يوصل إليك بمجرد أن يشاء إيصال الضر إليك ولو لم يباشر سببًا يضرك به، فهٰذا لا شك أنه لا يحل أن يخاف إلا من الله سبحانه؛ لأن هٰذا تصريف فمن اعتقده في غير الله تعالىٰ فإنه يكفر.

ومنه الرجاء، والرجاء أيضا علىٰ أنواع: منه رجاء جائز وهو أن ترجوا من غير الله ما يملكه ويقدر عليه، وثمة نوع إذا رُجي من غير الله سبحانه فإن من رجاه فإنه يشرك ويخرج من الملة كأن ترجوا من غير الله سبحانه أمرًا لا يملكه إلا الله.

وهكذا التوكل، التوكل ضابطه تفويض الأمر إلىٰ الله، أن يعتمد بقلبه علىٰ الله، ضابط التوكل اعتماد

الراعي الرسمي
الشيخ عبد الله بن محمد الخراشي
غفر الله له ولوالديه ولذريته

القلب على الله سبحانه، فالقلب يجب أن ينصرف إلى الله تعالى، ولا يعني ذلك ترك اتخاذ الأسباب، الأسباب تتخذ ولا بد منها، في الجوارح تسعى برجليك، تعمل وتباشر الأمر بيديك، تأكل الدواء، تستدفئ من البرد، هٰذه كلها أسباب لكن القلب مربوط بالله تبارك وتعالى، فيجب أن يربط القلب بالله وحده.

وهكذا ما ذكر من الرغبة والرهبة، فالرغبة بينها وبين الرجاء شيء من الدقة، وهكذا الخوف والرهبة والخشوع والخشية بينها أشياء يعني من التفاصيل، ممن ذكر هٰذه التفاصيل الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى في كتابه «معارج القبول» لمن أراد التوسع فيها، وذكر أن الخشية أشد من الخوف.

والإنابة بأن ينيب، يعني أن يرجع إلى الله سبحانه، ثم ذكر ثلاثة أشياء هي الاستعانة هي طلب المعونة، والاستعاذة هي طلب أن يعاذ من الشر، والاستغاثة هي طلب الغوث في أمر يكون فيه كرب للعبد، فهٰذه أيضا على نوعين:

النوع الأول: نوع خاص بالله سبحانه لا يجوز أن يطلب من غيره، وهو أن يستعيذ أو يستغيث أو يستعين بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فهنا يقع الشرك.

النوع الثاني: إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بغير الله في أمر يقدر عليه العبد فلا بأس، ومنه قوله تعالى عن موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فهٰذه الاستغاثة في أمر يقدر عليه، وكما يستغيث الإنسان مثلا بجيرانه لو وجد حريق، فصار يستغيث بجيرانه ليطفئوا النار، هٰذا النوع يجوز بشروط ثلاثة:

أن يكون المستغاث به حيًّا، حاضرًا، قادرًا.

أن يكون المستعاذ أو المستغاث أو المستعان به حيًّا فلا يكون ميتًا، فالميت لا يستطيع أن ينفع لو دعا ميتا لكان كافر بذلك، أو استغاث أو استعاذ به.

أن يكون هٰذا الحي حاضراً فإذا كان حيًّا لكنه في موضع نائي بعيد عنه كيف تستغيث به أو تستعيذ به، لا يستطيع أن يصنع لك شيئًا.

وأن يكون قادرًا فلو كان حيًّا حاضرًا لكنه طفل صغير في مهده لا يستطيع أن يعينك، فإنه غير قادر فإذا اجتمع أنه حي حاضر قادر صحت الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة به لأنه في أمر يملكه، أما إذا

وقع هٰذا في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فإن ذلك من الشرك.

ومن العبادة الذبح بأن يتقرب إلىٰ الله سبحانه بذبيحة فهٰذه من العبادات التي يجب أن تصرف لله تعالىٰ، هٰذه الأنواع من العبادات الأصل أنها لله تعالىٰ، فالخشوع لله، الخشية من الله الإنابة إليه، الرهبة التوكل عليه الرجاء الخوف الرغبة الرهبة الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة، الأصل أنها بالله سبحانه، والذبح الأصل أنه يتقرب به إلىٰ الله سبحانه، ولهٰذا يجب أن يقصد بذبحه الله تعالىٰ، وأن يسمي اسم الله علىٰ ما ذبح بأن يجتمع الأمران:

* أن يهل بمعنىٰ أن يرفع الصوت باسم الله تعالىٰ.

* وأن يقصد بذبحه التقرب إلىٰ الله تعالىٰ مثل ما يقع في الأضاحي ونحو ذلك.

النوع الثاني من الذبح؛ الذبح العادي كأن يذبح ليطعم ضيفًا أو ليطعم أهله اللحم، فهٰذا مما يجب أن يذكر عليه اسم الله، وإن كان مقصده أن يأكله أو يطعمه ضيفه فهٰذا نوع عادي.

إذًا هٰذه العبادات، ومنها المحبة أيضا، منها ما ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: المحبة العادية؛ كمحبة الإنسان مثلا بعض المآكل أو المشارب أو بعض الأجواء أو نحوها فهٰذا عادي، لا يقال إنه أشرك بالله بأن أحب غير الله، هٰذه محبة عادية لا تدخل في هذا، وإنما تذم لو أنها صارت سببًا بأن صرفته عما أوجب الله، أما مجرد محبة هٰذه الأمور كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل كان يحب الدباء عليه الصلاة والسلام، هٰذه أشياء عادية.

القسم الثاني: المحبة العبادية؛ ما ضابطها؟ بأن يقال لا يجوز أن تصرف هٰذه المحبة إلا لله؟ ضابطها: أن تكون بكمال الخضوع ونهاية الذل، كمال خضوع لله سبحانه الذي أحببته، ونهاية التذلل له عز اسمه، هنا تكون محبة عبادية، فلو صرفها لغير الله لأشرك.

ومن ذلك النذر؛ أدخل النذر مع أن الأصل أن النذر منهي عنه؛ لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يستخرج به من البخيل**» وكثير ما ينذر الإنسان بأن يقول: لله علي إن شفاني الله من هذا المرض مثلا أن أصوم يومًا وأفطر يومًا مثلا، ثم بعد مدة يعجز ويبدأ يسأل هل لي من مناص، أنا صرت أعجز عن أواصل الصوم ونحو ذلك علىٰ ما نذرت، الأصل أن مَنْ نذر أن يطيع الله كما في الحديث: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، والنذر قالوا إنه باب من العلم نادر، هو منهي عنه ابتداءً فإذا عقده الإنسان حُمد علىٰ الوفاء به، ولهٰذا ذكر الله تعالىٰ الوفاء بالنذر في صفات أهل الجنة:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان] لكن لِمَ نهي عنه؟ رحمة بالإنسان، إذا أردت أن تصوم يومًا وتفطر يومًا ما منعك أحد، لكن لا تجعله علىٰ سبيل اللزوم؛ لأن النذر ينقل الشيء المستحب إلىٰ الوجوب، فصومك يومًا وفطرك يومًا، أو صدقتك بألف ريال هٰذا مستحب، فإذا قلت لله عليَّ أن أتصدق بألف وجب عليك، أو قلت لله عليَّ أن أصوم يومًا وأفطر يومًا وجب عليك، مع أن أصلها مستحبه، لهٰذا قالوا: النذر هو أن يلزم المكلف نفسه بشيء لا يجب عليه بأصل الشرع، لا يجب عليك بأصل الشرع أن تصوم يومًا وتفطر يومًا، لكن لما جعلته علىٰ هٰذا النحو بالنذر وجب عليك.

فالنذر الأصل هو علىٰ ما ذكرنا من النهي عنه، لا شك أن الناذر إنما ينذر لما قام بقلبه، من قدرة الله تعالىٰ -عز اسمه- علىٰ تحقيق ما نذر العبد فيه، ولهٰذا لا شك أنه هٰذا الأمر الذي يكون بالعبد لا شك أنه خاص بالله، فلو نذر لغير الله علىٰ هٰذا النحو لكان مشركًا.

ثم قال رحمه الله تعالىٰ الدليل علىٰ وجوب أن تكون الدعوة لله وحده؛ هو قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨﴾ [الجن] فلا يحل أن يدعىٰ مع الله تعالىٰ أي أحد، لاحظ هنا نهي، مرة أخرىٰ نكرة في سياق النهي، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، مر قوله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾، لكن يعني حتىٰ يشمل ولا يصرف الدعاء لأي أحد كائنًا مَنْ كان.

ثم أعطىٰ قاعدة رحمه الله تعالىٰ: «فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر»، هٰذه عندنا قاعدة، أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ أنه شرك، يكفر به العبد ويخرج من الملة، فمن ذبح لغير الله سبحانه ذبح التعبد يكون مشركًا، من دعا غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله يكون مشركًا، مَنْ استغاث، مَنْ استعان، مَنْ استعاذ، مَنْ رجا؛ قاعدة، إذا كان في أمر لا يقدر عليه إلا الله فإنه يقع ويتحقق الشرك -عياذًا بالله-، والشرك هنا أكبر، لهٰذا قال مشرك كافر يعني يخرج به من الملة؛ لأن العبادة حق الله وحده، فإذا جعلها لغير الله وقع في الشرك وخرج من الملة، وذلك هو الظلم الأعظم كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾ [لقمان]، واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون]، فجعل دعوته لغير الله تعالىٰ كفرًا.

ثم ذكر الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**» الحديث بهٰذا اللفظ من طريق ابن لهيعة رحمه الله تعالىٰ، وفي

حفظه هو من حيث الثقة؛ ثقة رحمه الله كان من قضاة المسلمين الموثوقين لكن احترقت كتبه فحدّث من حفظه فصار عنده شيء من الأوهام، لكن هٰذا الحديث يشهد له الحديث الصحيح الآخر الذي في السنن: «**الدعاء هو العبادة**»، فقوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» ثابت، هنا: «الدعاء مخ العبادة» يشهد له الحديث الثابت «الدعاء هو العبادة» وهٰذا يدل علىٰ عظم شأن العبادة، ولهٰذا قال تعالىٰ تأمل الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠] أول الآية في ذكر الدعاء ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فسمىٰ الدعاء عبادة؛ لعظم شأن الدعاء، فأطلق علىٰ الدعاء العبادة وهٰذا كثير في كتاب الله سبحانه، ومنه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٨] بعدها قال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ما قال وما يدعون؛ لأن المقصود بقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون. فكثيرا ما يطلق علىٰ العبادة الدعاء؛ لعظم شأن الدعاء، فمن صرف الدعاء الذي لا يصرف إلا لله صرفه لغير الله فقد أشرك، ولهٰذا قال تعالىٰ هنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وأمر الله تعالىٰ بدعائه، والإلحاح في الدعاء مشروع للعبد والإكثار، وأن لا يمل وحتىٰ لو واصل الدعاء سنوات من عمره يواصل ويلح علىٰ الكريم المنان، وفي كل مرة يدعو يرفعه الله تعالىٰ بدعوته، ويقترب بإذن الله تعالىٰ من سؤله الذي سأله وإن لم يجبه الله تعالىٰ فإنه لا يخلو من إحدىٰ ثلاث:

١- إما أن يصرف الله تعالىٰ عنه من السوء مثل ما دعا.

٢- أو أن يستجيب الله له.

٣- أو أن يدخر له تبارك وتعالىٰ الأمر في الآخرة فيجده أفقر ما كان إليه.

لأن الداعي لا يعدم خيرًا؛ إما أن تقبل دعوته، وإما أن يصرف عنه شر لولا أن الله سخره يدعو لوقع هٰذا الشر، الدعوة ما تحققت لكن كان ثمة شر سيصيبه فلأجل أنه دعا علىٰ هٰذا النحو صرف الله عنه الشر، أو أن يدخر الله تعالىٰ له دعوته في الآخرة حيث فقره الشديد وحاجته العظيمة.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ رضي الله عنهم ﴾ الذي يستكبر عن عبادة الله مع ضعفه وشدة حاجة هٰذا العبد ومع ذلك يستكبر ويأبىٰ أن يدعو الله سبحانه سيدخل جهنم صاغراً.

أحسن الله إليكم، قال رحمه الله:

ودليل الخوف قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] ودليل الرجاء قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

مثل ما قلنا؛ الخوف ذعر يصيب الإنسان وينتابه من الأمر، والرجاء طمع يطمع الإنسان في أمر أن يتحقق له، فالخوف الذي هو خاص بالله سبحانه لا يحل أن يخاف إلا منه وحده لا شريك له، ولهٰذا نهىٰ الله تعالىٰ أن يُخاف أهل الشرك فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي يخفوكم أوليائه هٰذا المعنىٰ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن رضي الله عنهم رضي الله عنه﴾، أما الرجاء فالدليل عليه فقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ﴾ [الكهف: ١١٠] الذي يرجو لقاء الله والإعداد للقائه ﷻ يترك عنه الأماني، ويترك عنه الأوهام والخيالات، ليتكل علىٰ الله وليعمل فإنه لا ينجيه بعد رحمة الله تعالىٰ إلا عمله، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ وهنا شرط قبول العبادة في هٰذه الآية، شرطا قبول العبادة موجودان في هٰذه الآية: الإخلاص ومتابعة النبي ﷺ، فقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ دليل المتابعة؛ لأنه لا يكون العمل صالحا إلا إذا تابع فيه الرسول ﷺ، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هٰذا شرط الإخلاص، ولهٰذا قال الفضيل بن عياض رحمه الله لما سئل عن معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أصوبه وأخلصه، قيل له: فما أصوبه وأخلصه؟ قال: إن العمل إذا كان صوابًا -يعني علىٰ هدي النبي ﷺ- فإنه لا يقبل إلا إذا كان خالصًا لله، وإذا كان خالصًا ولم يكن علىٰ طريقة رسول الله ﷺ فإنه لا يقبل؛ لأنه وإن أخلص القصد لكن لم ينهج نهج رسول الله ﷺ فيُرد عليه، قال: ولا يقبل إلا إذا كان صوابًا خالصًا؛ فلا يقبل العمل إلا بهذين الشرطين، إخلاص القصد لله تعالىٰ، وأن يكون العامل علىٰ هدي رسول الله ﷺ يعمل؛ لا يخبط لا يدري بما فيه، ولهٰذا من أخطر ما يكون علىٰ الإنسان أن يدخل في الجهاد في سبيل الله وهو لا يعرف أحكامه، ويدخل في الدعوة إلىٰ الله وهو لا يعرف أمر الدعوة إلىٰ الله، يدخل في الوعظ، يدخل في الإفتاء وهو لا يعرف، هنا يضر نفسه ضررًا بالغًا، ولا يقال: إنه اجتهد. بل يقال: هو آثم، والله تعالىٰ سائله؛ لأن هٰذه الأمة أمة تمضي علىٰ هدي رسول الله

ﷺ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [الأنعام: ١٠٨]، كيف يدخل الإنسان في مجال وهو لا يعرف أحكامه؟! من العجائب؛ يدخل الإنسان يقتحم مثلا باب الجهاد في سبيل الله ولا يعرف أحكام الجهاد، لا بد أن تعرف أحكام الجهاد في سبيل الله؛ لأن أحكام الجهاد نوازل كبيرة جدًّا تحتاج إلىٰ أن تكون عالمًا بها، وتكون علىٰ بصيرة بأن تجاهد مع من يعلم، ثمة وقائع كبيرة جدًّا تقع في الجهاد في سبيل الله؛ منها حقن دماء، ومنها إهراق دماء، ومنها الحكم بمداهمة في موضع معين قد يترتب عليه قتل أناس من المسلمين أو نحو ذلك، لا بد أن تكون أحكام هٰذه موجودة، وهي -بحمد الله- موجودة عند أهل العلم، فتحتاج إلىٰ أهل العلم ما تحتاج مثلا إنسان طيب القلب عنده حماس وحب للأمة وحب لأن يرفع الله عنها الذل، لكن الأحكام، أحكام خطيرة جدا أحكام الدماء هي من أشد ما يكون في الأحكام أحكام الدماء، ولهٰذا يجب الإنسان في أمر الجهاد، في أمر الدعوة إلىٰ الله سبحانه في أمر وعظ الناس وإفتائهم، يجب أن يكون علىٰ بصيرة، وقد كان الرجل يأتي الصحابة رضي الله عنهم فيستفتيهم في المسألة؛ فيستفتي الأول في بعض المسائل التي قد تحتاج إلىٰ شيء من اجتهاد ويكون فيها نوع من تردد فيحيله إلىٰ أخ له ثان، يقول: اذهب إلىٰ فلان، فإذا أحاله إليه كأن الثاني أيضًا تردد، أحاله إلىٰ ثالث حتىٰ يحيله آخرهم إلىٰ الأول، يقول: أنا رجعت إليك كل شخص من شدة تورعهم رضي الله عنهم في بعض المسائل.

ولهٰذا قال بعض السلف: إن أحدكم يجرؤ علىٰ مسائل لو كانت زمن عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر؛ يعني يستشيرهم فيها، ومع ذلك يأتي الإنسان ويبدي فيها وجهته كأن الأمر سهل، فينبغي أن يُتقىٰ الله سبحانه في مثل هٰذه الأمور وأن يكون الإنسان علىٰ بصيرة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ كل مؤمن يرجو أن يلقىٰ الله تعالىٰ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بحيث يكون علىٰ هدي النبي ﷺ، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

قال رحمه الله:

ودليل التوكل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل تقدم تعريفه، وهو أنه اعتماد القلب علىٰ الله سبحانه، الأصل أن يكون التوكل علىٰ الله، لكن متىٰ يقع الشرك في التوكل؟ علىٰ نوعين:

١- أن يتوكل علىٰ غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله هنا يكون الشرك أكبر.

٢- أن يتوكل علىٰ غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق؛ فلا يحل، فلو توكل علىٰ الطبيب، الطبيب ما نقول يملك الشفاء -حاشا لله- لكن يملك ماذا العلاج، ولا يقال: إن الطبيب يملك الشفاء، الشفاء ليس بيد الطبيب ولا بيد غيره، لكن عنده العلاج، أو لو توكل علىٰ الحاكم في رفع مظلمة لا يحل؛ لأننا قلنا التوكل هو الاعتماد بالقلب علىٰ الله، فالقلب يجب أن يربط بالله تعالىٰ -نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا لذلك- بحيث يكون الإنسان إذا عمل إذا سعىٰ في الأسباب يكون ساعيًا في الأسباب المباحة، أما قلبه فإنه يكون مربوطًا بالله سبحانه.

لهٰذا قال صاحب «التيسير» رحمه الله الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن وقال غيرهم: أنه إذا توكل علىٰ غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق وقع في شرك أصغر، يعني إما أن يقع في شرك أكبر إذا توكل علىٰ غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويقع في شرك أصغر إذا توكل علىٰ غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق، مثل ما لو توكل علىٰ الحاكم في رفع مظلمة، الحاكم يقدر علىٰ رفع المظلمة، ترفع المظلمة للحاكم لكن لا تتوكل عليه؛ لأن التوكل محض حق الله، التوكل ليس مثل المحبة يكون نوعان: محبة عادية ومحبة عبادية، أو مثل الخوف: خوف عادي وخوف عبادي، لا، التوكل مثل أي عبادة يُفرد الله سبحانه بها، مثل الصلاة علىٰ سبيل المثال، فلا تصلي إلا لله، ما نقول يصلي لله عبادة ويصلىٰ لغير الله غير عبادة ما تقبل الصلاة هٰذه القسمة، كذلك التوكل، ولهٰذا كان الصحيح من قولي أهل العلم أن عبارة: «توكلت علىٰ الله ثم عليك» غير جائزة هٰذا هو الصحيح، حتىٰ بعبارة «ثم»، أما «وعليك» معلومة أنها لا تحل؛ لأن أصل التوكل كما قلنا غير قابل للقسمة بحيث يقول العبد: توكلت علىٰ الله ثم علىٰ فلان.

كثير من آيات التوكل في القرآن تأتي بتقديم الجار والمجرور كما في الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران] ما فائدة تقديم الجار والمجرور؟ إفادة الحصر، أي لا تتوكلوا إلا علىٰ الله، ولهٰذا دائما في التوكل قل: علىٰ الله توكلت، ولا تقل يا فلان توكلت عليك، ولا تقل توكلت علىٰ الله ثم عليك بل التوكل علىٰ الله.

أما التوكيل فيختلف عن التوكل -انتبه لهٰذه المسألة- التوكيل غير التوكل، التوكيل هو الإنابة يعني نوبته في أمر أما التوكل قلنا ما معناه؟ اعتماد القلب علىٰ الله، أما التوكيل فهو أن تنيبه بحيث يكون نائبًا عنك في أمر من الأمور، بعض أهل العلم يقول: تجوز عبارة «توكلت علىٰ الله ثم عليك» كما تجوز عبارة «ما شاء الله ثم شئت» لكن الصحيح قول أهل العلم الآخرين: أنها لا تحل بل هي خاصة بالله سبحانه، فيقال: توكلت علىٰ الله، وأما عبارة «أنا نوبتك أو وكلتك» فهٰذه لا إشكال فيها، تصح مطلقًا، ما تقول: وكلت الله، نوبت الله ثم نوبتك ما تقول هٰذا أصلًا، لكن تقول: أنبتك في هٰذه المعاملة بأن تكون نائبا عني أو في كذا لا بأس، إذًا التوكل غير التوكيل، فالتوكل معناه كما عندك هنا الاعتماد بالقلب علىٰ الله تعالىٰ فلا تعتمد بقلبك علىٰ أحد سواه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي فهو كافيه يعني من توكل علىٰ الله فإن الله تعالىٰ يكفيه ما أهمه.

قال رحمه الله:

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

نعم جاء بهٰذه الآية علىٰ الأشياء الثلاثة: الرغبة والرهبة والخشوع.

الرغبة محبة الوصول إلىٰ شيء محبوب، وذكر الشيخ حافظ رحمه الله: أن الرغبة راجعة إلىٰ معنىٰ الرجاء.

والرهبة الخوف لكن ليس أي خوف، الخوف المثمر للهرب من الذي خفته، وقال الشيخ أيضًا حافظ رحمه الله قال: إن الرهبة ترجع إلىٰ معنىٰ الخوف.

الخشوع هو الذل والتطامن بحيث يستسلم لقضاء الله سبحانه الكوني والشرعي، ذكر أيضًا الشيخ رحمه الله: أن الخضوع والخشوع والتذلل بمعانٍ متقاربة دل عليها هٰذه الثلاثة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء] فجمعوا بين الرغبة والرهبة، والمؤمن يكون بين الرغبة وبين الرهبة، يكون بين الخوف وبين الرجاء لا يغلب الخوف بحيث يقنط، ولا يغلب الرجاء بحيث يأمن مكر الله، وإنما يكون بين الخوف وبين الرجاء، ويخشع لله تعالىٰ ويتوكل عليه، وهٰذا هو حال عباد الله الموفقين يكونون بين الخوف وبين الرجاء، فأما إذا زاد في أمر الخوف فقد يقنط، وأما إذا زاد في أمر الرجاء وبالغ فيه فقد يأمن مكر الله تعالىٰ ويجترأ علىٰ حدوده.

قال رحمه الله:

ودليل الخشية قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

الخشية قيل أنها أخص من الخوف كما هو اختيار الشيخ محمد رحمه الله، والشيخ حافظ رحمه الله يرىٰ أنها مرادفة للخوف، يقول تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، كما قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن رضي الله عنهم رضي الله عنه﴾ [آل عمران: ١٧٥] هٰذا في الشيء الذي يفرد به الله سبحانه، أما كما قلنا الخوف العادي فإنه علىٰ التفصيل الذي ذكرنا.

قال رحمه الله:

ودليل الإنابة قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٤٥].

الإنابة هي الرجوع لله تبارك وتعالىٰ وأمر الله تعالىٰ العباد أن يرجعوا إلىٰ ربهم تبارك وتعالىٰ ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٤٥] فأوجب الله تعالىٰ على العباد الإنابة والرجوع إلىٰ ربهم ﷻ، ليس لهم ملاذ دونه تبارك وتعالىٰ، ولا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه، فأمرهم بأن يرجعوا ويتوبوا إليه ﷻ، ويقومون بما أوجب الله عليهم من عبادته واجتناب معصيته، وأن يسلموا له تعالىٰ الإسلام الشرعي الذي هو الاستسلام لأحكام الله سبحانه.

قال رحمه الله:

ودليل الاستعانة قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفي الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**».

الاستعانة هي طلب المعونة، تقدم أنها إذا كانت في أمر خاص بالله سبحانه فلا يحل أن تطلب إلا من الله وحده ولهذا في الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»، وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] فالاستعانة بالله تبارك وتعالىٰ، قدم هنا المفعول به إياك نعبد أي لا نعبد إلا الله، وإياك أن نستعين أي فلا نستعين إلا بك، ولا يعني ذلك منع الاستعانة بالعبد فيما يقدر عليه؛ لأن العبد الاستعانة به فيما يقدر عليه لا بأس بها، إذا كانت بالشروط الثلاثة التي ذكرنا إذا كان بحي حاضر قادر، لكن كلما استطعت أن تلجأ إلىٰ ربك تعالىٰ، وتجعل حاجاتك موصولة به سبحانه فذلك أفضل لك من التطلع إلىٰ الناس وطلب معونتهم.

ودليل الاستعاذة قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس].

الاستعاذة هي طلب الإعاذة، ومعنىٰ الإعاذة أن تُحمىٰ من مكروه، فقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق] هي طلب من رب الفلق ﷻ، وقوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس] طلب من رب الناس ﷻ تطلبه عز اسمه أن يعيذك من هٰذا الذي تكره، ﴿مِن شَرِّ رضي الله عنهم رضي الله عنه ٢﴾، وفي سورة الناس ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس] فتستعيذ بالله تعالىٰ من هٰذا الذي تركه وتطلب منه ﷻ أن يحميك.

ودليل الاستغاثة قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩].

الاستغاثة طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدائد كما تقدم مثل ما لو طلب من أحد أن يغيثه فقال أغيثوني مثل ما لو وقع حريق ببيته لا يستطيع وحده أن يطفئه فيستغيث بمن حوله، فالاستغاثة بالحي الحاضر القادر لا بأس بها، فإذا استغاث بغير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله فذلك خاص بالله فإذا صرفه لغير الله فإنه يكون مشركًا.

ودليل الذبح قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ومن السُّنة قوله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

الذبح معروف بأن يزهق روح البهيمة تقربًا، فإذا ذبحها لله سبحانه فهٰذا من أعظم أنواع العبادة، ولهٰذا قرنها الله بالصلاة في أكثر من موضع، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ فكما أنك لا تصلي إلا لله، فلا تذبح إلا لله سبحانه، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢] وكما أنك لا تصلي إلا لله فأنك لا تنحر إلا لله سبحانه، ولهٰذا أورد الحديث بعده: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، واللعن -عياذًا بالله- هو الطرد والإبعاد عن رحمته ﷻ، فمن ذبح لغير الله تعالىٰ فإنه يستحق اللعن، فسواء تقرّب به إلىٰ غير الله سبحانه أو ذكر عليه غير اسم الله، كأن يقول باسم الحسين، أو باسم علي، باسم السيد البدوي، أو باسم الشيخ عبد القادر أو نحوه، هنا يكون قد أهلَّ به لغير الله فلا يحل في هٰذه الحالة، وإذا تقرب به بأن يقول حتىٰ يغيثني صاحب القبر، حتىٰ يرد عليَّ غائبي يكون الشرك أيضًا من هٰذه الزاوية يكون شرك تقرب.

الأخوة الذين عندهم أسئلة لو يتكرمون بكتابتها؛ لأن لو فتحنا المجال للأسئلة الشفوية أخشىٰ أن يطول المقام ولم نتمكن من إنهاء الكتاب.

قال رحمه الله: ودليل النذر قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧﴾ [الإنسان].

ذكر الشيخ محمد بن العثيمين رحمه الله أن النذر الوارد في الآية يراد به جميع العبادات التي فرضها الله، فالعبادات الواجبة إذا شرعها الله سبحانه تكون داخلة في اسم النذر، لهٰذا إذا شرع فيها الإنسان التزم بها، واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]، أما النذر الذي هو إلزام المكلف نفسه بما لم يجب عليه بأصل الشرع فإنه مكروه كما تقدم.

ذكر الله علىٰ كل حال أن الثناء والمدح لمن أوفى بالنذر في قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] هٰذا من صفات أهل الجنة، هٰذا لا شك أنه من العبادة.

قال رحمه الله:

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة والخلوص من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان؛ فأركان الإسلام خمسة، والدليل من السنة حديث ابن عمر ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]، ودليل الشهادة قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رضي الله عنهم رضي الله عنه ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ذكر رحمه الله تعالىٰ الأصل الثاني من هٰذه الأصول وهو: معرفة دين الإسلام وبيَّن أن الإسلام معناه الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هٰذه الأمور الثلاثة لا بد منها لمن دخل في دين الله سبحانه، بأن يستسلم لله سبحانه، ويخضع لله تعالىٰ خضوعًا مطلقًا، وينقاد لله سبحانه أيضًا، لا ينقاد في الظاهر وهو لا يريد الله وإنما ينقاد لله بالطاعات الظاهرة، ولا يكفي هٰذا حتىٰ يبرأ من الشرك ومن أهل الشرك معًا، لا يقال: ابرأ من الشرك وحده، يُبرأ من الشرك من حيث هو شرك، ويبرأ من أهل الشرك أيضًا، أما من يريد أن يفرق يقول نحن نبرأ من الشرك لكن لا نبرأ من أهله، أو نكره الشرك ولا نكره أهله، فهٰذه من فلسفات المتأخرين الفارغة؛ لأن الشرك لا يوجد إلا بوجود أهله، فالذي يعبد الأصنام لو لم يوجد من ينحت الأصنام ويتقرب إليها بأنواع العبادات ما وجد الشرك، فلا يمكن أن تقول: إني أبغض الشرك من حيث هو صرف العبادة لغير الله أما أهله فلا أبغضهم، هٰذا الكلام الفارغ الذي دب إلىٰ الناس من هؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الفوارق العظيمة بين الإسلام وبين الكفر، وبين طريق الجنة وبين طريق النار لا بد من البراءة من الشرك ومن أهل الشرك، ولهٰذا قال الله سبحانه عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ ﴾ [التوبة: ١١٤] منه هو، قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، فأن يقال: نبرأ من الشرك ولا نبرأ من أهله هٰذا من التناقض، ولهذا قال الشيخ رحمه الله: البراءة من الشرك ومن أهل الشرك أيضًا، بأن يبرأ من الشرك من حيث هو صرف عبادة لغير الله سبحانه مطلقًا؛ أيًّا كان المصروفة له العبادة، وأن يبرأ من فاعله.

لكن علىٰ التفصيل الذي ذكرنا لأننا قلنا إذا كان هٰذا الواقع في الشرك واقعًا في الشرك بسبب التقصير في إيصال الدعوة إليه فالمسلمون ملومون، فعليهم أن يوصلوا الإسلام إليه، فإذا وصل الإسلام إليه فقد يسابقهم عليه، ويكون من أزكىٰ عباد الله، وقد يصرّ علىٰ شركه فيكون حكمه حكم غيره من المشركين، أما أن نجيّر كسلنا وعجزنا علىٰ مجرد البراءة من المشركين مع تقصيرنا في الدعوة إلىٰ الله فلا شك أن هٰذا ليس منهج السلف، منهج السلف كما قلنا وسط بين المتميعين المتلاعبين وبين من يجعل البراءة من الشرك بالنهج وبالأسلوب الذي ذكرنا من المبالغة فيه، وإنما علىٰ النهج والسنن الشرعي السليم بالتفصيل ولله الحمد مثل هٰذه الأمور بفضل الله ومنته بيّنة واضحة في سيرته ﷺ، واضحة في سيرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، متىٰ برأ إبراهيم من أبيه؟ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ لكن ماذا قال؟ ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم] دعا واجتهد، أما أن لا ندعوا ولا نجتهد ثم نقول: البراءة، البراءة لا شك أنها حق كما قلنا، ولا يمكن أن يضيق بها المسلم -معاذ الله من ذلك- كيف نضيق بالبراءة من أعداء الله، لكن لا بد من إبراء الذمة وإبلاغ الإسلام إلىٰ الناس، وهٰذه هي مهمة.

ولهٰذا لو تتأمل الوضع زمن أبي بكر رضي الله عنه ثم زمن عمر في عشر سنوات، أبو بكر رضي الله عنه لما ولي انشغل بالمرتدين الذين ارتدوا في الجزيرة، مجرد ما انتهت حروب الردة بدأ أبو بكر مباشرة في نشر الإسلام، وكان المسلمون إذا أتوا إلىٰ البلد خيروا أهلها بين الإسلام وبين الجزية وبين القتال في سبيل الله، فكثير من البلاد قاتلت وفتحت، ومنها بلاد رضيت الجزية، ومنها بلاد دخلت الإسلام، فأدىٰ الصحابة ما عليهم ولهٰذا لو تنظر إلىٰ رقعة الإسلام زمن عمر رضي الله عنه؛ لأنه كان من أهم الأمور عنده الدعوة إلىٰ الله سبحانه كان مهتمًا جدًّا بنشر الإسلام، فلهٰذا وصل الإسلام من المشرق والمغرب إلىٰ حدود هائلة بعيدة جدًّا في عشر سنين.

وكان الناس على الأحوال الثلاثة التي ذكرنا منهم من قاتل فدحره الله وغلب، ومنهم من بذل الجزية، ومنهم من دخل في الإسلام، لكن كان الصحابة والذين قتلوا من الصحابة رضي الله عنهم وظلوا في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلىٰ الله أعداد غفيرة جدًّا منهم، تجدها في سيرهم فبذلوا واجتهدوا، فعند ذلك وقعت البراءة موقعها، أما أن يظل أناس في هٰذه الأرض يجهلون أصل الإسلام ولا يدرون به وبمجرد أن تأتي أدنىٰ مناسبة تجده في بعض الأحيان قرية بأسرها تسلم، هٰذا يدل علىٰ التقصير العظيم، يعني هؤلاء الذين مكثوا هذه السنين الهائلة المتطاولة أحفادًا وأجدادًا ما وصلهم الإسلام، بمجرد أن وصلهم دعوة بعض الأحيان بأيسر السبل؛ تسلم قرية بأكملها ما معناه؟ معناه التقصير وهو الذي نقوله، معناها التقصير الواقع وإلا البراءة من أعداء الله حق ولا يمكن أن يضيق بها مسلم.

جاء في السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام كتب كتابًا لأحد أصحابه رضي الله عنهم يوصي به ولاة الأمر من بعده، ماذا فعل هٰذا الصحابي الجليل؟ كانوا في بعث في غزوة فتقدم إلىٰ أهل هٰذه القرية وعرض عليهم الإسلام، فقال: أسلموا إن أسلمتم تركناكم لا شأن لنا بكم ولا بأموالكم ولا بدمائكم، فأسلموا علىٰ يده فكأن بعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا: فوتّنا الغنيمة يعني لو أنهم قاتلوا لغنمناهم فلما علم النبي ﷺ بذلك أثنىٰ علىٰ فعله، وكتب كتابًا يوصي ولاة الأمر من بعده به، ولما دخل كثير من اليهود والنصارىٰ في الإسلام كتب أحد الولاة الذين يجبون الجزية قال: إن هؤلاء إنما يدخلون في الإسلام ليكسروا الجزية؛ لأنه إذا دخل الإسلام لا تؤخذ منهم الجزية كتب هٰذا الكتاب إلىٰ مَنْ؟ إلىٰ عمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز: إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا الله بعث محمدًا ﷺ هاديًا للناس ولم يبعثه جابيًا يجبي الجزية فإن كان الناس أسرعوا عندك في الإسلام فاطوِ كتابك فقد انتهىٰ عملك واقدم إلينا، تقول: الناس أسلموا هٰذه بشارة عظيمة؛ تعال انتهىٰ عملك، عملك هو الجزية، وقد صرت عاطلا عن العمل، ليت الناس يسلمون هٰذا مراده، ولما قيل له: إن النصارىٰ يسلمون لتسقط عنهم الجزية فامتحنهم بالختان -يعني قل لهم من أسلم منكم سنقوم بختانه- قال: أنا أردهم عن الإسلام بالختان؟! يعني أجعلهم في موضع ضيق أقول إذا أسلمتم سنلجئكم إلىٰ الختان؟! إنهم إذا أسلموا عمدوا بأنفسهم إلىٰ الطهرة، يعني هم بأنفسهم ذهبوا واختتنوا فأسلم أربعة آلاف من هٰذه المعاملة.

الإسلام يبذل الدعوة إليه، تبذل الدعوة إلىٰ الله ومهمة الداعي إلىٰ الله وهمه أن يسلم الناس وليس

هٰذا من عمله بأن يتنازل عن شيء، لكن همه أن ينشر الدين؛ لأن ثمة أناس في الأرض أشد من الظمأىٰ والجوعىٰ إلىٰ هٰذا الدين العظيم، فمثل ما قلنا أن يبرأ من الشرك قطعًا، ويبرأ من أهل الشرك بلا أدنىٰ تردد، لكن علينا أن نبذل ما أوجب الله علينا من الآيات التي ذكرنا ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف] سوف تُسئل الأمة عن إبلاغ القرآن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩] علىٰ الأمة أن تبلغ، لا بد أن تبلغ الأمة، ومثل ما قال عمر بن عبد العزيز -وما أحسنها من كلمة-: إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون -مثل ما في خبر المغيرة مع الفرس وغيره إذا أتوا إليهم- قال: إنكم إذا أسلمتم رجعنا عنكم ولم نتعرض لدمائكم ولا أموالكم وكان لكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، هٰذا إذا أسلمتم؛ لأن الأصل هو دعوتهم إلىٰ الإسلام والحرص عليهم أن يسلموا، فإذا أبوا واتضح امتناعهم فلا تردد في أن هؤلاء قد تركوا هٰذا الدين عمدًا وكابدوه عنادا وعداءً، لكن أن يكونوا جهلة بسبب قلة الجهد والبذل في الدعوة إلىٰ الله هٰذا مثل ما قلنا يجب أن ينظر إليه دائمًا عند أمر البراءة من الشرك.

فالأصل البراءة من المشركين ولكن أيضا الأصل تعليم الجاهلين والحرص عليهم حتىٰ يتحدد الأمر بأن يسلموا فيكونوا مثلنا، وذكرنا لكم مثال جد البخاري رحمه الله بردزبه أنه كان مجوسيًّا ثم أسلم ثم صار من أحفاده هٰذا الإمام الكبير.

الحاصل أن الأمور كما قلنا تؤخذ الأدلة مكتملة مجتمعة وعلىٰ هدي وسنن أهل العلم ولا تتلقىٰ مثل هٰذه الأمور ممن هب ودب.

ثم قال: وهو ثلاث مراتب يعني أن الدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، الإسلام تقدم وهو يضم فيه مَنْ عَظُم إيمانه ومن قل إيمانه، فضعيف الإيمان مسلم وقوي الإيمان مسلم، أبو بكر مسلم والعصاة أمثالنا والمقصرين يطلق عليهم المسلمون.

الدرجة التي بعد الإسلام درجة الإيمان، وهي درجة لمن علا وعظم وارتفع قدره في الاستمساك بدين الله تبارك وتعالىٰ.

وبعدها الدرجة الثالثة درجة الإحسان، ذكر بعض أهل العلم أن قول الله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ رضي الله عنهم رضي الله عنه لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾

[فاطر: ٣٢] قالوا: هٰذه علىٰ مراتب الدين، فالظالم لنفسه من العصاة يسمىٰ مسلمًا، المقتصد مَنْ هو؟ المقتصد من اقتصر علىٰ الواجبات وباين وترك المحرمات، بمعنىٰ أنه ركز علىٰ ما أوجب الله عليه فعمله، وركز علىٰ ما نهاه الله عنه فتركه، فصار سالمًا من الذنوب من جهة المعاصي، وسالمًا من الذنوب من جهة التفريط في الواجبات، قالوا: فهٰذا مقتصد، أما السابق بالخيرات فهو الذي مع تركه للمحرمات، ومع أدائه للواجبات فهو مسارع في النوافل والمستحبات.

فدرجة الإحسان أكمل وهي التي بيَّنها جبريل كما قلنا عليه الصلاة والسلام فيما تقدم: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن تكن تراه فإنه يراك**»، ودرجة الإيمان للمقتصد، ودرجة الإسلام تضم، ويطلق الإسلام حتىٰ علىٰ العصاة ممن يقعون في المعاصي من أهل القبلة.

بعدها قال: كل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة، وشرع رحمه الله في ذكر أركان الإسلام:

الركن الأول: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستدل عليه بقوله تعالىٰ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رضي الله عنهم رضي الله عنه ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ويستدل عليه مثلا بآية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآيات كثيرة في ذكر شهادة أن لا إلٰه إلا الله.

أما الدليل علىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله فيأتي إن شاء الله تعالىٰ، وكذلك بقية الآيات، طالب العلم ينبغي مثل ما قلنا أن يعرف هٰذه الأدلة بحيث يتكلم عن هٰذه الأركان وفق أدلة، أما العامي فلا يلزم إلزاما وإن كان لو لُقِّنَ إياها وعُلم إياها لكان أجدىٰ ولهٰذا الشيخ محمد رحمه الله كان يكتب لعامة المسلمين ورقات قصيرة جدًّا معظمها موجود في كتاب «الأصول الثلاثة» وكانت تتلىٰ وتقرأ علىٰ الناس في المسجد، يلقنون الدين تلقينًا، يلقنون أهم مسائل الأصول هٰذه الثلاثة، أما طالب العلم فينبغي له أن يتعرف علىٰ الأدلة، وقلنا: إن العلم معناه معرفة الهدىٰ بالدليل، فيحرص طالب العلم علىٰ أن يكون عنده أدلة مثلا لو قيل له: ما دليل شهادة أن محمدًا رسول الله ما تعرف معناه غير مناسب دليل شهادة أن محمد رسول الله قول الله في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] سهل أمره، ما الدليل علىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله؟ آية الكرسي أنت تقرأها ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هٰذا الدليل علىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله فيحرص طالب العلم علىٰ معرفة هٰذه الأدلة.

أحسن الله إليكم، وقال رحمه الله:

ومعناها لا معبود بحق إلا الله، لا إلٰه نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتًا العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ الآية [الزخرف: ٢٧-٢٨]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ذكر رحمه الله تعالىٰ معنىٰ هٰذه الكلمة العظيمة «لا إلٰه إلا الله»، ينبغي علىٰ طالب العلم أن يعلم أن معنىٰ كلمة التوحيد من أشرف العلوم، معناها والأدلة علىٰ شروطها، وبيان نواقضها، فهٰذه من أعظم العلوم وأشرفها، معنىٰ «لا إلٰه إلا الله» كلمة الإلٰه المراد بها المعبود، وهٰذه الكلمة العظيمة مكونة من شقين: فيها نفي وفيها إثبات، لا إله نفي، إلا الله إثبات، النفي لأي شيء؟ لكل ما يعبد من دون الله، من ملك أو نبي أو صالح أو جن أو شجر أو حجر أو أي شيء كان، لا إلٰه أي لا معبود حق إلا الله وحده لا شريك له، وذكرنا أن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] دلت علىٰ الشرطين؛ العروة الوثقىٰ هي لا إلٰه إلا الله:

١- ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ هٰذا النفي في قولك: لا إله.

٢- ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ هٰذا الإثبات في قولك: إلا الله.

ومن الأدلة عليها قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ براء مما تعبدون هي لا إله، إلا الذي فطرني هو قولك: إلا الله، وهكذا حتىٰ المشركون كانوا يعلمون أن معنىٰ (لا إله إلا الله) ترك عبادة أي أحد سوىٰ الله، ولهٰذا لما دعاهم النبي ﷺ إلىٰ لا إلٰه إلا الله قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥] علموا أن معنىٰ (لا إلٰه إلا الله) أن تترك جميع المعبودات ويفرد الله وحده بالعبادة، وهكذا قوم هود لما دعاهم هود عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، قالوا: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ ﴾ ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ هذه إلا الله، ﴿وَنَذَرَ ﴾ أي نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ﴾ هذا هو ركن النفي

في قولك: لا إله، إذًا لا إلٰه إلا الله من ركنين: النفي والإثبات، «لا إلٰه إلا الله» تنفي العبادة عن أي أحد كان إلا الله فهو المستحق وحده للعبادة، كما أنه ليس له شريك في ملكه فليس له شريك في عبادته.

ينبغي أيضًا أن نذكر أمر شروط لا إلٰه إلا الله، شروط لا إلٰه إلا الله ينبغي أن يعرفها طالب العلم ذكرها الشيخ حافظ حكمي في «معارج القبول»، وذكرها الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن في «فتح المجيد» نعطي عليها بيت شعر يجمعها لطالب العلم إذا حفظه حفظ الشروط السبعة، يقول الناظم رحمه الله في الشروط:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

يعني أنها سبعة شروط العلم معنىٰ «لا إلٰه إلا الله»، والإخلاص في قولها، والانقياد بأن ينقاد قائل لا إلٰه إلا الله لما توجبه، واليقين المنافي للشك، والمحبة لهٰذه الكلمة ولأهلها والعاملين بها، والقبول لها إلىٰ آخر شروطها التي قد يطول بنا المقام وقلنا إنها موجودة مفصلة في كتاب الشيخ حافظ وكتاب الشيخ عبدالرَّحمٰن بن حسن رحمهما الله تعالىٰ، فهٰذا معنىٰ لا إلٰه إلا الله، ما تفسيرها الذي يوضحها؟ الآية التي قلنا قول إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هٰذا لا إله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فهٰذا الإثبات في قولك إلا الله، إذًا هي متضمنة للنفي والإثبات، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] نستوي نحن وإياكم في هٰذه الكلمة، ما هٰذه الكلمة؟ هي كلمة التوحيد ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ هذه كلمة التوحيد، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أحسن الله إليكم، قال رحمه الله:

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] ومعنىٰ أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة]، ودليل الصيام قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ رضي الله عنهم رضي الله عنه مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة]، ودليل الحج قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

ذكر بعد ذلك دليل شهادة أن محمدًا رسول الله في هٰذه الآية قلنا الأدلة كثيرة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] يعني أنه صلوات الله وسلامه عليه من جنسكم، من بينكم، ومع ذلك فيه هٰذه الصفات العظيمة صلوات الله وسلامه عليه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني أنه يشق عليه ما شق عليكم، ثم مع ذلك فيه هٰذا الحرص العظيم صلوات الله وسلامه عليه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ صلوات الله وسلامه عليه، وهكذا من الأدلة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وغير ذلك من الآيات.

ما معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله؟ لا شك أن فيها إقرارا باللسان يتواطأ مع القلب علىٰ أنه صلوات الله وسلامه عليه هو المبعوث للناس كافة وللجن أيضًا من عند رب العالمين، وأن دينه هو الدين الذي يجب أن يُتبع، وأن كل دين قبله فإن أتباعه يجب عليهم أن يتبعوا محمدﷺ؛ لأن الله تعالىٰ أخذ علىٰ الأنبياء جميعًا عهدًا إذا جاءهم نبي أن يؤمنوا به، وأخذت الأنبياء هٰذا العهد علىٰ أممهم، فوجب علىٰ كل من له دين قبل الإسلام أن يتبع محمداﷺ؛ لأن الأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا قد أخذوا علىٰ أممهم العهد؛ بأن يتبعوه صلوات الله وسلامه عليه، ما معنىٰ شهادة أن محمدا

رسول الله؟ ذكرها رحمه الله في أربع جمل؛ طاعته فيما أمر، الأوامر التي يأمر بها يطاع فيها، أما الإخبار الذي يخبر به عن الغيب، أو عما مضىٰ أو عن أي خبر عن الله تعالىٰ فإنه يصدق فيه، أما النهي الذي ينهىٰ عنه بأن يزجر عن أمر معين وينهىٰ عنه، فيجب أن يجتنب، وأما التعبد فلا يحل أن يتعبد لله سبحانه بأي قربة إلا إذا كانت علىٰ هديه ﷺ، لِمَ؟ لأنه رسول الله، هٰذا معناها، فإذا أمرك تطيعه ولو كان ذلك علىٰ غير هوىٰ نفسك، إذا أخبرك بأي أمر مهما كان هٰذا الخبر فإنك تصدقه، وإذا كانت عندك قناعات علىٰ خلاف هٰذا الخبر فإنك تترك قناعاتك وتقدم الخبر، وهكذا كل ما تشتهيه النفوس وتميل إليه من الباطل مما زجر عنه فإنه حتىٰ ولو هويته النفوس فعلىٰ المسلم أن يُلزم نفسه بالكف عنه، أما التعبد فلا يُتعبد إلىٰ الله تعالىٰ بشيء إلا علىٰ طريقته وعلىٰ سنته ﷺ.

المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهٰذا المجلس الثالث في شرح الكتاب الثاني من برنامج التعليم الميسر، والكتاب الثاني هو «ثلاثة الأصول وأدلتها» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالىٰ، المتوفىٰ سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بمدينة الرياض عصر السبت، الثاني من جمادىٰ الأولىٰ لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وفقه الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ:

المرتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد، وهو أن تعبد الله وحده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

والدليل من السنة حديث جبرائيل ﷺ المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع كفيه علىٰ فخذيه فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال: «**أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، فقال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**» قال: صدقت، قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن تكن تراه فإنه يراك**» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: أخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» قال: فمضىٰ فلبثنا مليًّا فقال ﷺ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هٰذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر**

دينكم».

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: ذكر رحمه الله تعالىٰ المرتبة الثالثة، وهي أعظم هٰذه المراتب وأرفعها، وهي مرتبة الإحسان، والإحسان ضد الإساءة، والله سبحانه كما قال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**»، حتىٰ في القتل، حتىٰ في الذبح، يجب أن يوقع علىٰ الوضع الحسن، وهو الوضع الشرعي السليم، ثم ذكر أن الإحسان ركن واحد، تقدم أن الإسلام خمسة أركان، يقول هنا الإحسان ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، علىٰ سبيل التشريف يعني تعد نفسك كأنك ترىٰ رب العالمين فتصلي بين يديه، لا شك أن الإنسان لو استحضر هٰذا لصلىٰ صلاة لا نظير لها، ولو استحضر أن رب العالمين كأنه يرىٰ رب العالمين لكان إذا أراد أن يتكلم أو يفعل أو يترك شيئًا فإنه يستحضر هٰذا الأمر فيوقع القول والفعل والترك علىٰ أحسن ما يكون، كأنه يرىٰ الله، أن تعبد الله كأنك تراه، لما كانت رؤية الله مستحيلة في الدنيا، ولا يمكن أن يرىٰ أحد ربه كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**واعلموا أنه لن يرىٰ أحد منكم ربه حتىٰ يموت**» فلا يمكن أن يرىٰ أحد رب العالمين بتاتًا في الدنيا، لما سأل موسىٰ عليه الصلاة والسلام الرؤية قال له سبحانه: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يتمالك الجبل لما تجلىٰ الله تعالىٰ له؛ فاندك فكيف بالمخلوق، ففي الدنيا يستحيل استحالة تامة أن يرىٰ أحد ربه، وإنما يرىٰ المؤمنون ربهم تعالىٰ في الجنة.

فإن لم تكن تراه، يعني في هٰذه الدنيا ولن تراه فإنه يراك، استحضر أنه تعالىٰ يراك فإذا استحضرت أنه تعالىٰ يراك لا شك أن ذلك يثمر ثمرة عظيمة لمراقبته سبحانه، فإنك إذا جعلت هٰذا الأمر علىٰ بالك أن الله تعالىٰ يراك كما قال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾، وقال سبحانه -لما ذكر خبر عدو الله أبي جهل وتهدده النبي عليه الصلاة والسلام إن هو صلىٰ-: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق] فمن استحضر أن الله تعالىٰ يراه فلا يرتاب ولا يشك أنه سيعبد الله

عبادة المحسنين، وهٰذه هي المرتبة العظيمة التي قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ الذين أحسنوا العمل ولن يحسن العمل إلا إذا أتي به علىٰ شرطيه المتقدمين؛ بأن يكون علىٰ هدي رسول الله ﷺ وأن يكون العبد مخلصًا.

ولكن التفاوت في إيقاع العمل حتىٰ من قبل المخلصين كبير جدًّا، فالصلاة يصليها كثير من المخلصين لله سبحانه، ويقيمونها علىٰ الحد الذي أمر الله سبحانه به من جهة صورتها الظاهرة، لكن ثمة تفاوت عظيم في إيقاع الصلاة علىٰ هيئة من الخشوع والاستحضار لما يقوله المصلي في قراءته، وفي ركوعه، وفي سجوده، وفي دعائه الفرق كبير، فيكون اثنان كلاهما صلىٰ صلاة من حيث الإخلاص لا يريد إلا الله، ومن حيث الإتيان بالصلاة علىٰ وفق هدي رسول الله ﷺ بأن يؤديها بطمأنينة وركوع وسجود وأداء لها علىٰ الهيئة الشرعية، هٰذا فيه كثير من الناس لكن كما قال السلف: يقف اثنان في الصف، وإن بينهما لكما بين السماء والأرض، يعني من جهة الخشوع، ومن جهة استحضار القلب، فهنا يكون الإحسان يكون فيه تفاوت حتىٰ بين المحسنين، وأعظم الناس إحسانًا هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فمن استحضر هٰذا فلا شك أنه سيعبد الله تعالىٰ عبادة يراعي فيها هٰذه المراقبة لله تبارك وتعالىٰ، ولهٰذا قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الذي يقع -والعياذ بالله- في فاحشة الزنا من المسلمين لو أنه استحضر أن رب العالمين مطلع عليه ما زنىٰ، ولهٰذا لم يقل ﷺ: لا يزني المؤمن؛ لأنه قد يزني وهو من أهل الإسلام قال: «لكن لا يزني الزاني حين يزني» يعني حال زناه لا شك أن إيمانه -كما ورد في الأثر- صار علىٰ رأسه كالظلة، لأنه لو أتىٰ الإيمان واستحضره لما زنىٰ، ولكن يغيب عنه إيمانه كما أن الإنسان المبصر لو أغمض عينيه فالبصر موجود عنده بصره موجود، هو ليس بأعمىٰ، ولكنه لشدة الشهوة -عياذًا بالله- وغلبة هواه قد وقع في هٰذه الفاحشة ولذا قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، وجاء «**أن العبد إذا زنىٰ ارتفع إيمانه فصار علىٰ رأسه كالظلة، فإذا أقلع عاد إليه إيمانه**»؛ لأنه لا يخرج من الإسلام بزناه، لكن لا يرتاب أنه لو استحضر إيمانه وأن رب العالمين مطلع عليه فمما لا شك فيه أن من المحال أن يزني، ويدل عليه هذا خبر الرجل الإسرائيلي في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلىٰ غار ومن ضمنهم الرجل الذي راود بنت عمه عن نفسها حتىٰ ألمت بها سنة من الشدة والحاجة، فلما جلس منها مقعد الرجل من امرأته ذكرته بالإيمان، قالت: «اتق الله ولا تفض الخاتم إلا

بحقه» ما ذكرته بقرابتها ما قالت: بيننا قرابة، وهو يعرف أنها قريبته ولا قالت: استحضر كون أبي عمًّا لك، هٰذه الأمور ما خفيت عليه، لكن ذكّرته بإيمانه فقام من ذلك الموضع؛ لأنه ذكر بالله سبحانه.

فلهٰذا إذا استحضر الإيمان اتقىٰ الله الناس فيما بينهم، اتقىٰ الأبناء ربهم في آبائهم، واتقىٰ الأقارب ربهم في أرحامهم، واتقىٰ الجيران ربهم في جيرانهم، واتقىٰ الناس فيما بينهم اتقوا ربهم في جميع المعاملات، لكن إذا غابت تقوىٰ الله أو ضعفت وقع في الناس ما يقع من هٰذه المخالفات، ولهٰذا مَنْ عَبد الله علىٰ الإحسان فإنه يستريح من شره كل أحد من القريب أو من البعيد؛ لأنه قد راقب الله تعالىٰ فهو تارك للشر لا لأجل الناس لكن تارك للشر لأنه مراقب لله سبحانه.

ذكر بعض أهل العلم أن هٰذه المرتبة من مرتبتين، الشيخ محمد رحمه الله يقول: إنها مرتبة واحدة، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، من أهل العلم من يقول: إنهما مرتبتان:

* المرتبة الأولىٰ: أن تعبد الله كأنك تراه، في هٰذه الحالة يحصل شوق في أثناء العبادة وحب للعبادة.

* المرتبة الثانية: أنك إن لم تكن تراه فإنه يراك، وهٰذه عبادة الهرب ولهٰذا قالوا إنها تكون مرتبة ثانية بعد أن ذكر كل ما تقدم. دلل عليه بحديث جبريل الجامع الذي بدأ به مسلم في صحيحه هٰذا أول حديث في صحيح مسلم، ورواه البخاري رحمه الله تعالىٰ بسياق أقصر من هٰذا، فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: كان مرة بين أصحابه جالسا كما روىٰ عمر رضي الله عنه فجاءهم رجل لا يعرفونه، يعني ليس من أهل البلد لكن شأنه غريب، هو ظاهره أنه من المسافرين؛ لأن أهل البلد لا يعرفونه لكن شأنه ليس شأن المسافرين، شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، والعادة أن المسافر يصيبه من آثار سفره شيء من الشعث والتعب الذي يبدو في وجهه، وربما في ثيابه، وربما في شعره، كل هٰذا يبدو من آثار السفر، لكن هٰذا بخلاف ذلك، ومع ذلك لا يعرفه منهم أحد فجاء ليسأل النبي ﷺ، وتأدب غاية الأدب في السؤال، جاء فجلس إلىٰ النبي ﷺ واقترب منه، وفي بعض الروايات أنه قال: أدنو؟ يعني أقترب، استأذن فأذن له النبي ﷺ فدنىٰ حتىٰ اقترب من النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتي النبي ﷺ، ووضع كفيه علىٰ فخذيه تأدبًا عند السؤال، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**» الأركان السابقة التي قلناها، قال: صدقت، يقول عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه، وفي بعض الروايات أنهم قالوا: كأنه يعلّم رسول الله السائل عادة لا يدري بجواب السؤال، لكن هٰذا فيه دلالة علىٰ

أن للسائل أن يسأل عن أمر يعرف جوابه، ليسمع غيره الجواب، هٰذه من الفوائد أن تسأل عن أمر أنت تعرف جوابه، لكن هناك من هو حاضر ربما عنده شبهة أو عنده إشكال، فأنت لم تسأل لنفسك لكن سألت ليسمع غيرك، فيصلح ويدل عليه هٰذا الحديث.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**» كل هٰذا مضىٰ وشُرح، قال: فأخبرني عن الساعة؟ يعني متىٰ الساعة قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» المسؤول عنها هو رسول الله ﷺ، وهو سيد بني آدم أجمعين، والسائل هو جبريل وهو سيد الملائكة، فأخبره ﷺ أن السائل والمسؤول يستويان في هٰذا من جهة عدم العلم بوقتها؛ لأن الساعة لا يعلمها إلا الله سبحانه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات]، فلا يجليها لوقتها إلا هو ﷻ، فلما بيَّن له هٰذا الحال قال: فأخبرني عن أماراتها؟ الأمارات المقصود بها العلامات التي تكون للساعة، فذكر له من علامات الساعة «**أن تلد الأمة ربتها**» ربتها أي سيدتها، والأمة هي التي تكون مملوكة يطأها سيدها، فيطؤها سيدها فتلد بنتًا للسيد تكون ربة لهٰذه الأمة من جهة أنها قد تكون أميرة، وتكون بنتا لهٰذا السيد الذي هو علىٰ هٰذا الحال من الجاه والمنصب، فتلد الأمة ربتها، «**وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة**» الحفاة الذين بلا نعال، العراة الذين ليس عليهم ثياب، العالة شديدوا الفقر «**رعاء الشاء**» وهٰذه حال تكون فيمن اشتد به الفقر، هؤلاء ينتقل حالهم إلىٰ أن لا يبنوا فقط بل يتطاولون في البنيان ويتنافسون فيه.

فهٰذه من علامات الساعة، قال: فمضىٰ -يعني السائل- فلبثنا مليًّا فقال ﷺ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، فعبارة الله ورسوله أعلم في زمن النبي ﷺ هي الحق؛ لأن الله لا شك أنه أعلم مطلقًا، ورسوله ﷺ أعلم، لكن بعد أن توفي ﷺ إذا سُئل إنسان عن أمر متعلق بواقع الناس وحالهم فليس له أن يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم ما يقع بعد أن توفي، وإنما الذي يعلم هو الله، ولهٰذا ثبت عن النبي ﷺ أنه لما ذيد أُناس عن حوضه في القيامة أنه يقول: «**أصيحابي**» فتقول له الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: «**سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**»، فقالوا له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وفي لفظ أنه قال: فأقول كما قال العبد الصالح -يعني عيسىٰ

عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة]، فقال: «**هٰذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»، وفي لفظ: أنه قال: «**رآكم لم تسألوا فسأل**» ففيه دلالة علىٰ أنه جاء ليعلمهم أمر الدين، ومن أمر دينهم أن يعرفوا هٰذه المراتب العظيمة، وهٰذا يدل علىٰ شرف هٰذه المسائل التي سئل عنها، ولاحظ أن هٰذه المسائل كلها مسائل مرتبطة بالعقيدة؛ الإيمان والإسلام والإحسان، أشراط الساعة، كل هٰذا دال علىٰ أنه كان يريد أن يعلمهم هٰذه المسائل العظيمة المتعلقة بإيمانهم، ودينهم.

أحسن الله إليكم.

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا رسولًا، نبئ بـ«اقرأ»، وأرسل بـ«المدثر»، وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلىٰ التوحيد، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ① قُمۡ فَأَنذِرۡ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ④ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ⑤ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ⑦﴾ [المدثر] ومعنىٰ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلىٰ التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أي عظمه التوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز الأصنام وهجرها تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها.

ذكر رحمه الله تعالىٰ الأصل الثالث؛ وهو معرفة نبي الله وسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، هٰذه الأمور التي أراد أن تُعرف عن النبي ﷺ أنواع:

النوع الأول منها: معرفة اسمه الكريم ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي بن كلاب صلوات الله وسلامه عليه، وهو من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما صلاة الله وسلامه وعلىٰ نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين، فأول ما ينبغي أن يعرف اسمه صلوات الله وسلامه عليه.

قبل الكلام في بقية المسائل يقال: إن من غربة الدين العظيمة أن تجد كثيرًا من المسلمين -رجالًا ونساءًا وشبابًا وكهولًا وكبارًا- أن تجدهم في حال من الجهل برسول الله ﷺ، من جهة جملة من المسائل التي لا ينبغي أن تخفىٰ عليهم؛ كاسمه الكريم عليه الصلاة والسلام، وعمره المبارك المليء بطاعة الله سبحانه، ومسألة هجرته ومسألة بقائه في مكة، وهكذا أهم غزواته ﷺ، وترتيب أهمها علىٰ الأقل، وجملة من أخباره وسيرته ﷺ المشهورة، وذلك أن الإقبال علىٰ تعلم سيرته ﷺ قلَّ في الناس كثيرًا، وهٰذا من أسباب نص الشيخ محمد رحمة الله تعالىٰ عليه هنا علىٰ أهمية أن يُعرف عن النبي ﷺ أمور لا يليق بالمسلم أن تخفىٰ عليه، من مثل اسمه الكريم وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه، انفتح المسلمون في هٰذه الأزمنة انفتاحًا غير منضبط ولا سوي ولا صحيح علىٰ أعداء الله من أهل الكفر، فتجد

عند كثير من شبابهم وشاباتهم من الدراية والمعارف بأحوال أعداء الله من أهل الكفر، وفي بعض الأحيان السفلة من أهل الكفر ليس فقط هم كفار، ولكنهم أهل السفالة والرداءة منهم من أهل التمثيل والأغاني ونحوها، وأقبلوا علىٰ أحوالهم ومتابعة أمورهم، إلىٰ حد عرفوا معه الألوان التي يحبون، وعرفوا كيف يأكلون، وكيف يشربون، وتابعوهم متابعة عجيبة أمضوا فيها أوقات كأنما يتعلمون علمًا يرفعهم عند الله سبحانه، مع أن هؤلاء الكفرة هم جثي جهنم ولم تزيدهم معرفتهم والإقبال علىٰ أحوالهم من الله إلا بعدًا، ولهٰذا قلّ في الناس الذين هم من هٰذا الصنف قطعًا وإلا لا يزال ولله الحمد من المسلمين من يقبل علىٰ العلم وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ وأصحابه، قل في هٰذا الصنف من المسلمين العلم بأمور هي من أوليات العلم، إلىٰ حد أن بعضهم ربما لا يحسن الوضوء فترة طويلة، وهو يصلي ويتوضأ وضوء لا يجزأه، أو يتوضأ ويحسن الوضوء ويصلي صلاة لا تجزأه كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ وأورده عند قوله تعالىٰ: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ [الروم] يقول: والله ليبلغ بأحدهم -يعني في معرفة دنياه- أن يضع الدرهم علىٰ أصبعه فيخبرك بوزنه، من درايته البالغة بأمور دنياه، قال: ثم لا يحسن يصلي، يعني أنه أقبل هٰذا الإقبال علىٰ الدنيا حتىٰ صار كأنه ميزان يعرف من كثرة ما يتعامل بالدرهم والدينار يعرف أحوال الأموال وغيرها، لكنه لا يحسن يصلي مع هٰذه الدراية البالغة، وهٰذا حال أناس انفتحوا علىٰ أهل الكفر وأمضوا الساعات الطوال في تتبع هؤلاء الذين لا يزيد العبد الإقبال عليهم من الله تعالىٰ إلا بعدًا.

ولهٰذا يجب العناية بسيرة النبي ﷺ، سواء من الجهات والمؤسسات كجهات التعليم وجهات الإعلام، أو من الأفراد أنفسهم، بأن يقبلوا علىٰ معرفة دين الله سبحانه عمومًا، ومعرفة ما يتعلق بالنبي ﷺ حتىٰ من جهة أخباره، وأسماء زوجاته؛ لأنهن أمهاتكم هن أمهاتكم وأنتم أولاد، والأولاد البررة يتعرفون علىٰ أحوال أمهاتهم ألم يقل الله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦]، أيليق أن لا نعرف أمهاتنا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن؟!!

الحاصل أن معرفة النبي ﷺ مما ينبغي أن يعتنىٰ به، وأن يهتم به، فمن هنا ذكر رحمه الله في أول ما ذكر، ذكر ما يتعلق باسمه الكريم ﷺ.

الأمر الثاني الذي ذكره ما يتعلق بعمره، عمره ﷺ علىٰ المشهور ثلاث وستون سنة، منها أربعون

عامًا قبل أن يوحي الله تعالىٰ إليه، ومنها ثلاثة وعشرون سنة بعد أن أكرمه الله تعالىٰ بالوحي، وهي مقسومة إلىٰ قسمين: ثلاث عشرة سنة في مكة قبل أن يهاجر، وعشر سنين في المدينة بعد أن هاجر عليه الصلاة والسلام.

ثم مما ذكره عن نبي الله ﷺ أمر بلده، بلده مكة، ولد فيها فهو من أهل مكة عليه الصلاة والسلام، لكنه هاجر عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة فهو من المهاجرين لذا قال ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار**» وذلك أن الهجرة أعظم من النصرة، فالمهاجرون أفضل من الأنصار، ولهٰذا قال ﷺ: «**لولا الهجرة**» يعني: و ما لها من المنزلة «**لكنت امرئ من الأنصار**»، لكن لما كانت الهجرة أعظم بقي علىٰ أمر هجرته ﷺ.

لما فتح مكة ﷺ عام ثمان، لم يعد إليها ولم يرجع إليها، ونهىٰ الصحابة أن يعودوا إليها من المهاجرين؛ لأن من ترك بلده لله سبحانه فإنه ليس له أن يعود إليه، إذا ترك بلده مهاجرًا منه بدينه فإنه لا يعود إليه مرة أخرىٰ، وإذا أراد زيارة أو نحوه فإنه ليس له أن يبقىٰ فيه أكثر من ثلاث، ولهٰذا لما حج صلوات الله وسلامه عليه وانتهىٰ حجه مضىٰ مباشرة ﷺ، ولما توفي سعد بن خولة رضي الله عنه وهو من المهاجرين توفي في مكة قال ﷺ: «**اللَّهمَّ أمضي لأصحابي هجرتهم ولا تردهم علىٰ أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة**» يقول الراوي: يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة؛ لأنهم يحبون أن لا يموت الواحد منهم في موضع هجرته؛ لأنه تركها لله وليس في هٰذا غضاضة علىٰ سعد بن خولة رضي الله عنه لأنه توفي لم يعد إليها واستوطنها لا وإنما يحبون أن يموت في غير الموضع الذي هاجر منه وتركه لله سبحانه.

يقول: نبئ بـ«اقرأ» يعني أول ما نزل عليه هو قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق] هٰذا هو أول ما نزل، ولم تنزل سورة اقرأ كاملة وإنما صدرها أولها هٰذا الذي قرأناه هو الذي نزل، به صار نبيًّا؛ لأن الله أنبأه، فلذلك قال: نبئ بـ«اقرأ»، ليس في صدر هٰذه السورة أمر بالبلاغ، وإنما فيه إنباء بهٰذه الآيات المذكورة، وبه عُرف أنه نبي من عند الله تعالىٰ، بم أرسله الله؟ قال: أرسله الله بالمدثر، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أمره أن ينذر، فمعنىٰ ذلك أنه أرسله إلىٰ الكفار، وأرسله إلىٰ الناس عامة صلوات الله وسلامه عليه، أرسله بقوله: ﴿قُمْ

فَأَنذِرۡ﴾.

يقول: بعثه الله بالنذارة عن الشرك، بعث الله هٰذا النبي الكريم ﷺ ينذر الناس عن الشرك، ويدعوهم إلىٰ توحيد الله، وقد تقدم أن أعظم ما ركز عليه ونبه عليه ﷺ هو التوحيد، وأعظم ما حذر منه هو الشرك، وكذلك رسل الله صلىٰ الله عليهم وسلم جميعًا، قال: والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ المدثر ذاك أنه ﷺ تدثر لما رأىٰ جبريل علىٰ تلك الهيئة من شدة هول ما رأىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ أمره الله تعالىٰ أن يقوم بجد ونشاط، وأن ينذر الناس عما هم فيه من الشرك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أي عظمه تبارك وتعالىٰ بالتوحيد، كما فسره المصنف ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ فيها قولان:

- القول الأول: أي طهر أعمالك عن الشرك، فيكون عُبر عن الأعمال بالثياب.
- والقول الثاني: أن المراد الثياب المعروفة أي طهرها لأن الإنسان لا يصلي إلا متطهرا.

ولا يمنع أن تكون الآية دالة علىٰ الأمرين معا، بأن يراد بها الأعمال ويراد بها أيضًا في مدلولها تطهير الثياب، ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز هي الأصنام، فاهجر أي اهجرها واتركها وابرأ إلىٰ الله تعالىٰ منها ومن أهلها.

أحسن الله إليكم.

الرجز هو الأصنام وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها وعداوتها وأهلها وفراقها وأهلها، أخذ علىٰ هٰذا عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد، وبعد العشر عرج به إلىٰ السماء.

هنا ينبغي التفطن إلىٰ أمر التوحيد والعناية به، يقول هنا: أخذ علىٰ هٰذا عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد، معنىٰ ذلك أنه ركّز ﷺ علىٰ التوحيد حين بعثه الله تبارك وتعالىٰ، أكثر الفرائض لم تنزل في مكة، فلا الصوم -صوم رمضان-، ولا الحج، ولا الجهاد، ولا الزكاة فرضت في مكة، وإنما فرضت في المدينة، ماذا كان يفعل ﷺ في هٰذه السنين العشر الأولىٰ من بعثته؟ كان يركز علىٰ التوحيد، وينذر قومه ينذرهم ويحذرهم من عبادة الأصنام، ويبيّن لهم الأدلة علىٰ بطلان عبادتها، وأن الواجب أن يفرد الله تعالىٰ وحده بالعبادة، استمر علىٰ هٰذا عليه الصلاة والسلام.

والتوحيد التركيز عليه علىٰ هٰذا النحو لا شك أنه يدل علىٰ عظم شأن التوحيد، وهو يعطي دلالة لكل من يدعو إلىٰ الله سبحانه بأن العناية يجب أن تنصرف في المقام الأول إلىٰ التوحيد، ولهٰذا ظل نوح صلوات الله وسلامه عليه تسعمائة وخمسين سنة يدعو قومه إلىٰ التوحيد وأبوا عليه وامتنعوا حتىٰ دمر الله سبحانه قومه وما نجا إلا القليل الذين كانوا معه عليه الصلاة والسلام، كل هٰذا يدل علىٰ عظم شأن التوحيد، الداعي إلىٰ الله الصادق لا بد أن يركز علىٰ التوحيد، والداعي الجاهل أو الداعي المنحرف هو الذي لا يهتم ولا يكترث بالتوحيد؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام حين يركز هٰذا التركيز الشديد علىٰ التوحيد، وتركز جميع الأنبياء وجميع الرسل صلىٰ الله عليهم وسلم علىٰ التوحيد ثم يأتي من يهون من شأن التوحيد، ويقول: إن التوحيد إذا ذكرناه سبب ذلك نفرة للروافض وللمتصوفة ولأناس يهوون البدع والخرافات فنحن نريد أن نجمّعهم؛ تجمّعهم علىٰ ماذا؟ علىٰ أي شيء يُجمع الناس؟ لا يصلح أن يجمع الناس إلا علىٰ مبدأ صحيح، وإلا فقد يأتي الداعي ويدعو إلىٰ مبدأ باطل ويلتف حوله الملايين، ملايين الناس يجتمعون حوله، لكن لا شك أنه علىٰ غير بصيرة وليست العبرة بالكثرة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط**» وهم الجماعة الذين دون العشرة، نبي في أمة كاملة ما تبعه إلا أقل من عشرة، «**ورأيت النبي ومعه الرجل والرجلان**» نبي في أمة لم يتبعه منها إلا رجل واحد أو رجلان، قال: «**ورأيت النبي وليس معه أحد**»، فيأتي هٰذا النبي في القيامة فيقال له: قد

أبلغت مهمتك ما هي كما قال تعالىٰ: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل] أبلغ وأدىٰ ما عليه، أما كون الناس يتبعون أو لا يتبعون، يرضون أو لا يرضون، هٰذا ليس هو الذي يجعل موضع النظر والاهتمام، ويستمر الإنسان ينظر هل هٰذا يرضي الناس فأفعله وأدعو إليه، أو يغضبهم فأتركه، هو يدعو إلىٰ الله، ولهٰذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أنت لا تدعو إلىٰ نفسك، ومن جميل ما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل كتاب «التوحيد» لما أتىٰ إلىٰ هٰذه الآية ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ قال: فيه التنبيه إلىٰ الإخلاص فإن من الناس من يدعو إلىٰ نفسه، فيه ناس يدعون لأنفسهم يريدون الكثرة الجماهيرية، يريدون ثناء الناس، ولهٰذا يلاحظ ما يريده الناس، وما يهواه الناس أنت داع إلىٰ الله، لا يمكن أن تكون لك مهمة أشرف وأفضل من مهمة الرسل، الرسل مهمتهم البلاغ، والهداية بيد الله ﷻ ليست بيدك ولا بيد غيرك، ولهٰذا يجب أن يراعي الدعاة إلىٰ الله هٰذا الأمر، وأن يهتموا به، وأن يعلم كل من لم يهتم بالتوحيد وإنما أضاع عمره وعمر الناس في القصص والأحاجي وفي أخبار الله أعلم بصحتها، أن هٰذا لا يمكن أن تبنىٰ به أمة، ولا يمكن أن تعز به أمة الإسلام، ولا يمكن أن يكون به داعيًا يؤجر علىٰ ما هو عليه، بل هو إلىٰ الإثم أقرب منه إلىٰ الأجر، وكيف يؤجر وهو يدعو علىٰ غير منهج رسول الله ﷺ، فيجب أن يراعىٰ هٰذا غاية المراعاة، يراعىٰ هذا الأمر ويهتم به غاية الاهتمام، ومن نقد دعوة التوحيد فإنما ينقد رسول الله ﷺ مباشرة، ومن زهّد في التوحيد فإنما يزهد في المهمة العظمىٰ التي أوجبها الله تعالىٰ.

ومن هنا تجد دعوات كثيرة، لها أتباع كثيرون، ولها سنون طويلة ما جعل الله فيها لأمة الإسلام بركة، وما زادت الأمة عزة، وإنما هي طرق أضاعت أوقات الناس وجهودهم وأموالهم فيما لا خير فيه، ثم تجد الواحد من أتباع هؤلاء في طرقهم يصل الستين سنة لا يعلق بشيء من العلم، ولهٰذا قال بعض السلف: يجلس الرجل إلىٰ القاص -الذي يقص الأخبار والقصص بقصة- يجلس إلىٰ القاص السنة لا يعلق منه بشيء ما استفاد، ويجلس إلىٰ العالم المجلس الواحد فلا يقوم إلا بفائدة وبعلم، فرق كبير جدًّا بين العلم والقصص، القصص أخبار وأحاجي وشيء من الأمور التي الله أعلم بصحتها، منها ما يصح ومنها ما لا يصح، ومنها ما هو قصة صحيحة ثابتة لكنها محل نقد ومحل رد ومحل رفض، لكن العلم أن تخرج من مجلس تعرف كيف تتوضأ؛ تخرج تعرف كيف تصلي، تخرج من مجلس تعرف معنىٰ كلمة

التوحيد، تعرف ما يتعلق بالعقيدة، هٰذه هي المجالس النافعة، وهي التي كانت مجالسه ﷺ فقد كان ﷺ معلمًا وهو خير المعلمين صلوات الله وسلامه عليه.

فالحاصل أن الدعوة إلىٰ التوحيد ميزان كبير جدًّا توزن به أي دعوة، وأي داع، فإن كان لا يكترث بالتوحيد، فإنه لا شك أنه من دعاة الباطل، وإن كان التوحيد والتحذير من الشرك والإلزام بالسنة والتحذير من البدع دأبه وديدنه فلا شك أنه علىٰ هدي رسول الله ﷺ، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وهي العلم كما قلنا، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ فمن أراد أن يتبع هٰذا النبي الكريم ﷺ فليهتم بما اهتم به، وليقدم ما قدم، وليحذر مما حذر منه، فإنه حين أرسل معاذًا رضي الله عنه إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله**» دل علىٰ أن التوحيد هو أول ما يبدأ به، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» هٰذا الذي يجب أن يعلم الناس في المقام الأول، وأن ينبه الناس إليه في المقام الأول، فمن هنا مكث عليه الصلاة والسلام يدعو إلىٰ التوحيد عشر سنين، حتىٰ رسخ التوحيد رسوخًا عظيمًا في أصحابه رضي الله عنهم، ولهٰذا أول ما بعث ﷺ نهىٰ الصحابة عن أن يزوروا المقابر لماذا؟ لأن من شأن أهل الشرك أن يعظموا أهل القبور، فنهاهم ﷺ عن زيارة القبور، ثم لما رسخ التوحيد في قلوبهم قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**»؛ لأن أصل نهيه عن زيارتها في أول الأمر خوفًا عليهم من أن يقعوا فيما كانوا فيه من شرك أهل الجاهلية، فلما استقر التوحيد وثبت في نفوسهم رضي الله عنهم وأرضاهم أَذن لهم بزيارة القبور.

من أهم الآثار الواردة في هٰذا ما قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها تقول كما روىٰ البخاري: لو أن أول شيء نزل لا تشربوا الخمر، لا تزنوا، لقالوا: لا ندعهما أبدا، تقول رضي الله عنها: لو أن النبي ﷺ حين بعثه الله قال: اتركوا شرب الخمور، هؤلاء قوم ليس عندهم عقيدة ولن يترك الخمر ولا الزنا ولا سائر المحرمات إلا إذا وجدت عقيدة راسخة، فإذا لم توجد عقيدة وحذرته وهو بلا عقيدة يقول: علىٰ ما أترك الخمر، أنا لا أترك الخمر أبدًا، ولا أترك الزنا أبدا هٰذا لو أنه بُدئ بالنهي مباشرة عن المحرمات، ولهٰذا قالت: لو أول شيء نزل لا تشربوا الخمر لا تزنوا لقالوا لا ندعهما أبدا، هٰذا رواه

البخاري إذًا بِمَ بدأ؟ بدأ بالذي عندك هنا يدعو إلىٰ التوحيد.

فمن هنا لما نزل تحريم الخمر في المدينة بعد أشهر من بعثته عليه الصلاة والسلام، ونزل قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩٠-٩١] فتحوا أبوابهم وسكبوا الخمر وقالوا: انتهينا انتهينا؛ لأن النهي عن الخمر جاء بعد عقيدة راسخة، يسهل علىٰ أهل هٰذه العقيدة العظيمة أن يتركوا الخمر، أما أن يُبدأ الناس بغير التوحيد وبغير العقيدة التي تثمر فيهم تقوىٰ الله سبحانه، وتثمر فيهم مثل ما في خبر الرجل الذي ذكرناه من الثلاثة الذين انطبقت علىٰ الغار الذي كانوا فيه صخرة فسألوا الله بصالح أعمالهم، فكان منهم هٰذا الثالث الذي قال: اللّٰهمَّ إنه كان لي ابنة عم أحبها أشد ما يحب الرجال النساء، ثم ذكر أنه راودها عن نفسها فوافقته حين اشتدت بها حاجة فدفع لها مائة وعشرين دينارًا، فلما جلس منها موضع الرجل من امرأته قالت: -العقيدة أتت- اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام من ذلك الموضع؛ لأنها ذكرته بالعقيدة، وقلنا أن النبي ﷺ يقول: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» إذا كان راسخ العقيدة مستحضرًا لإيمانه فإنه لا يزني، وهكذا السرقة «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**».

فالحاصل أن الذي يجب أن يرسخ في الناس هو الاعتقاد الصواب، ومن هنا لما صار الناس مذاهب شتىٰ في الدعوة إلىٰ الله رأيت كثرة الفوضىٰ في محيط من يدعون إلىٰ الله؛ لأن الأصل في الدعوة إلىٰ الله أن تكون علىٰ هدي النبي ﷺ، فإذا كانت علىٰ هدي غير النبي ﷺ فحتىٰ لو جمعت الجماهير الكثيرة، والأعداد الغفيرة، فإنها دعوة لا بركة فيها وليس هٰذا هو الذي أمرك الله تعالىٰ به في الدعوة إلىٰ الله سبحانه، فالواجب أن يُبدأ بما بدأ به عليه الصلاة والسلام، ولهٰذا مكث عليه الصلاة والسلام يدعو إلىٰ التوحيد عشر سنين عليه الصلاة والسلام.

نزلت في مكة جملة من المنهيات من المحرمات لكن بعد الأساس وهو التوحيد، أما الأوامر فكما قلنا أكثر الأوامر إنما نزلت في المدينة من مثل الجهاد والزكاة ذات الأنصبة، والصلوات الخمس المعروفة هٰذه، نزلت في مكة لكن بعد عشر سنين من بعثته ﷺ، فبعد عشر من بعثته عرج به إلىٰ السماء، ومعنىٰ العروج الصعود، صعد به إلىٰ السماء وكلمه الله تبارك وتعالىٰ؛ لأن الله تعالىٰ فوق السماوات فكلمه الله تعالىٰ مباشرة وفرض عليه الصلوات الخمس، وهٰذا من دلائل عظمة شأن الصلاة؛ لأن الله

فرضها بنفسه ولم ينزل بها جبريل كما نزل ببقية الفرائض وغيرها من الأحكام، بل كلمه الله تعالىٰ بها مباشرة تعظيمًا لشأن الصلاة، ولهٰذا لو تقارن بين الصلاة وبين أي فريضة من الفرائض لوجدت الصلاة تفوقها في كل شيء، فالصلوات في العام الواحد تصل إلىٰ نحو من ألف وثمانمائة صلاة؛ لأنك تصلي في اليوم خمس صلوات، في الشهر تصلي نحوا من مائة وخمسين صلاة، في السنة تصل إلىٰ هٰذه الحدود نحو الألف وثمانمائة قد تزيد أو تنقص بعض الشيء حسب كون الأشهر ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا.

الصلاة تجب علىٰ الديمومة علىٰ هٰذا الحال، أما الحج فيجب علىٰ الإنسان مرة واحدة وإذا حج لو مرة واحدة فلو مكث مائة سنة لم يحج بعد حجته فإنه لا يضره لأنه لا يجب عليه إلا مرة واحدة، وهٰذا من فضل الصلاة أن تجب علىٰ الديمومة ويجب الحج مرة واحدة، الزكاة تجب مرة واحدة في السنة، الصوم يجب مرة واحدة في شهر واحد في السنة، ثم إن الصلاة لا تسقط بتاتًا نهائيًا عن الإنسان ما دام يعقل، فلا تسقط عن مسافر، ولا تسقط عن مريض، ولا تسقط عن فقير، أما الصوم فقد يسقط عن المريض، وأما الزكاة فتسقط عن الفقير، والحج يسقط عن الفقير، وكذا عن المريض العاجز عن الوصول إلىٰ مكة، وبذلك نعلم أنه قد يوجد مسلم لم يحج ولم يصم ولم يزكي حياته كلها ولا يأثم، كأن يكون فقيرًا مريضًا فلفقره لا يوجد عنده مال حتىٰ يؤدي الزكاة، ولفقره لا يستطيع أن يصل إلىٰ مكة ليحج، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ ولمرضه لا يستطيع الصيام.

أما الصلاة فتلزم الفقير والغني والمريض والسوي والمسافر وغير المسافر، ولهٰذا يسقط الصوم في السفر، ويؤديه من أيام أخر، أما الصلاة فلا تسقط نعم تجمع الرباعية الظهر إلىٰ العصر وتجمع المغرب إلىٰ العشاء، لكن لا تسقط حتىٰ إنها تؤدىٰ حتىٰ في الحرب، وهي صلاة الخوف، وجاءت بها أكثر من هيئة وصورة حتىٰ إنها في حال المسايفة؛ وهي الدخول بين المسلمين والكفار مباشرة في القتال، فإن الإنسان يصلي ولو إلىٰ غير قبلة، ويصلي ولو وهو يتحرك؛ معلوم أن المقاتل يتحرك حتىٰ يؤديها في وقتها، وهٰذا كله يدل علىٰ عظم شأن الصلاة، ولهٰذا من الغربة العظيمة العجيبة التي يتعجب منها الإنسان أن يوجد أناس مظاهرهم مظاهر الصالحين في دينهم، ومظهر السنة البيِّن فيهم ثم تجد الواحد منهم ينام عن صلاة الفجر وعجبا ثم واعجبا ما الفائدة من إظهار شعار السنة مع التفريط في الركن

العظيم هٰذا ركن الإسلام الكبير وهو الصلاة! فيجب أن يُعلم أن الصلاة لا نظير لها بتاتًا في الأركان من جهة المنزلة إلا الشهادتان، فلا شيء أعظم من التوحيد والشهادة بالرسالة ليس شيء بعدها إلا الصلاة، ولهٰذا قلنا أنه يمكن أن يوجد مسلم لا يصوم ولا يحج ولا يزكي ولا يأثم، ولكن لا يوجد مسلم لا يصلي، أو يفرط في الصلاة فينبغي أن يعلم أمرها، ولهٰذا من عظم شأن الصلاة فرضت في مكة قبل المدينة، والصوم والحج والزكاة إنما فرضت في المدينة، فبُكر بفرضيتها في مكة، وصلىٰ النبي ﷺ الصلوات الخمس في مكة عليه الصلاة والسلام بأصحابه، فبعد العشر عُرج به كما قلنا إلىٰ السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، صلىٰ في مكة ثلاث سنين وأمر بعدها بالهجرة إلىٰ المدينة صلوات الله وسلامه عليه.

أحسن الله إليكم.

وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلىٰ في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلىٰ المدينة، والهجرة فريضة علىٰ هٰذه الأمة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام وهي باقية إلىٰ أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت]. قال البغوي رحمه الله تعالىٰ: سبب نزول هٰذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل علىٰ الهجرة من السنة قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**»، فلما استقر بالمدينة أُمر فيها ببقية شرائع الإسلام؛ مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ علىٰ هٰذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه.

ذكر رحمه الله تعالىٰ ما تقدم من كون الصلوات الخمس فرضت في مكة، وصلىٰ ثلاث سنين عليه الصلاة والسلام، وبعدها هاجر إلىٰ المدينة، ما المراد بالهجرة؟ الهجرة الشرعية هي الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام، وليس الانتقال من بلد الإسلام إلىٰ بلاد الشرك هجرة شرعية، كما يعبر الآن يقال هاجر إلىٰ بلاد الغرب هٰذا غلط ليست هٰذه هي الهجرة، الواجب أن يهاجر من بلاد الكفر والشرك إلىٰ بلاد الإسلام، لا أن يسمىٰ العكس، الهجرة إذا أطلقت وأريد بها اللغة الجانب اللغوي فالمراد بها مفارقة بلد وموضع إلىٰ موضع آخر، ولكن الهجرة الشرعية المراد بها الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام.

لا بد أن نتكلم عن المراد ببلد الشرك وبلد الإسلام، بلد الشرك هو الذي تظهر فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام؛ كالأذان والصلاة والجمعة والأعياد علىٰ وجه عام شامل، قولنا: علىٰ وجه عام شامل مهم؛ لأنه قد تقام في بلاد الكفر مثل بلاد الغرب قد يأذنون بالصلاة جماعة وبالأذان وبإظهار الجمع والأعياد فلا تسمىٰ تلك البلاد بلاد إسلام؛ لأن إظهار هٰذه الشعائر فيها ليس علىٰ وجه عام

شامل، وإنما هو إظهار لها في محيط من يسمون مثلا بالأقليات ونحوها، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هٰذه الشعائر علىٰ وجه عام شامل، ومن نعمة الله تعالىٰ علينا وفضله ومنته أن من أكثر ما يمثل به علىٰ إقامة هٰذه الشعائر هٰذه البلاد، فيُعد العامل أثناء الصلاة من أهل الجناية، من أهل الجناية بمعنىٰ أنه يمكن أن يحاسب ويعاقب، وليس لأحد أن يمكث في عمله أثناء الصلاة إلا من يحل لهم شرعًا أن يمكثوا ممن يترتب علىٰ تركهم لعملهم مفاسد؛ مثل أن يكون حارسًا أو مَنْ يكون ملازمًا لموضع لا بد فيه من الملازمة كالأطباء الذين في الإسعاف أو في نحوهم، فإن هؤلاء مأذون لهم شرعا هم ثم إنهم لا يؤذن لهم شرعًا بترك الصلاة بالكلية، لكن بعدم حضور الجماعة ومزاولة العمل في أثناء الصلاة؛ لأن ثمة أعمالا لا يمكن أن تقطع كالحراسة؛ لأنها لو قطعت ربما أتىٰ اللصوص، وكحال الطبيب الذي يكون مناوبًا في الإسعاف أما في مثل ما يسمىٰ بالعيادات الخارجية وغيرها ممن يأتيه المراجعون، فينتظر المراجعون وينتظر الفريق الطبي فترة يصلون ثم يعودون، أما من يأتون في حالات الإسعاف وحالات استقبال الحوادث ونحوها، فهؤلاء لا شك أنهم مأذون لهم شرعًا فعليهم المناوبة فقد تفوته الصلاة لا حرج ولا إشكال، لأنه في عذر من الناحية الشرعية، ولهٰذا من فضل الله ومنته هٰذا الإغلاق العام للمحلات، وهو مما شرقت به كثير من بلاد الكفر قالوا: لماذا توقفون الأعمال ونحن لنا شركات ومؤسسات كبرىٰ هنا تعمل ونحن نحسب الدقيقة قبل الساعة، فإذا كنتم ستغلقون وقت الأذان ثم في أثناء الصلاة سيتكرر ذلك عدة مرات فمعنىٰ ذلك أنه ستتعطل أعمالنا ومع ذلك فإنهم يلزمون بإيقاف الأعمال، وهٰذه من نعمة الله تعالىٰ الكبيرة وهٰذه من الدلائل والمظاهر الإسلامية البيِّنة.

ومن ذلك عدم الفطر في نهار رمضان، والفطر في نهار رمضان حتىٰ بالمحرم موجود في أكثر الأرض والله المستعان، حتىٰ في البلاد المتسمية بالبلاد الإسلامية قد تجد هناك من يشرب الخمر في أثناء نهار رمضان ولا يعاقبه ما يسمىٰ بالقانون، هنا ولله الحمد حتىٰ الشرط والهيئات جميع الجهات يصدر لها أمر بالقبض علىٰ أي أحد حتىٰ لو كان كافرًا إذا هو أظهر الفطر في رمضان، هٰذا معنىٰ الشعائر أن تكون الشعائر هٰذه ظاهرة، ولهٰذا تكون هٰذه الشعائر العظيمة وهٰذا مما ينبه الشباب شباب الأمة إليه لنحفظ هٰذه النعمة التي نحن فيها، المنكرات الأخرىٰ لا يسهّل من أمرها، ولا يدافع عن أهلها، لكن العاقل من يحفظ هٰذه المكتسبات الكبار، ثم يحتسب علىٰ المنكرات كما كان السلف رضي الله عنهم يفعلون، فهٰذه مكتسبات كبيرة الآن.

من ذلك علىٰ سبيل المثال -وهٰذا من الشعائر الكبيرة جدًّا، بل هو أعظم الشعائر- أنه ليس هناك شرك ظاهر، ما البلد الذي لا يوجد فيه مواضع يدعىٰ أهلها من دون الله تعالىٰ في هٰذه المزارات الخبيثة في القبور وفي غيرها؟ الأرض مليئة بهٰذا إلا أقل القليل هنا ولله الحمد تلك المزارات التي كانت موجودة قد هدمت، ومن عجيب ما وقع أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا تقوم الساعة**» والحديث في الصحيحين «**حتىٰ تصطك أليات نساء دوس علىٰ ذي الخلصة**» ذو الخلصة في جنوب المملكة، كان بيتًا لدوس تعظمه في الجاهلية يقول ﷺ «**لا تقوم الساعة حتىٰ تصطك أليات نساء دوس علىٰ ذي الخلصة**» يعني يطفن به فتصطك ألياتهن كما يحصل في الطواف، فدمر هٰذا علىٰ يد أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في القرن الثاني عشر، وجعل الله سبحانه كرامة إنهاء هٰذا الموضع الشركي علىٰ يدهم، وقبل أكثر من مائة لأنه لما هدموه رحمهم الله في ذاك الوقت كان هناك فؤوس ومساحي فبقيت منه بقايا لأنه بيت من صخور ففجر في زمن الملك عبد العزيز رحمه الله بالدناميت يعني حتىٰ يزال تماما لأنهم ما استطاعوا أن يزيلوه؛ لأنه عبارة عن صخور فعمل فيه الدناميت وفجرت الصخور وأزيل بالكلية، هٰذه شعائر كبيرة شعائر إزالة الشرك، الأمر بالصلاة، الأمر بالصيام، وهكذا مكتسبات كثيرة جدا مثل ولله الحمد الحجاب والإلزام به كل هٰذه المسائل ولله الفضل والمنة مكتسبات، فإذا وجدت منكرات -وهي موجودة ونسأل الله أن يكفينا شرها- فالعاقل الذي يعي الشرع هو الذي يحفظ هٰذه المكتسبات أولًا، ثم يسعىٰ في إزالة المنكرات بالأسلوب الشرعي، أما الذي لا يعي الشرع فهو ينظر إلىٰ هٰذه المنكرات فيقول: لن أزيل هٰذه المنكرات إلا إذا دمرت الوضع بأسره، وهٰذه المكتسبات لتذهب ثم قد تذهب -عياذا بالله- هٰذه المكتسبات فتعود المسائل المعاكسة لها من الشرك والعبث بالصلاة والجهر بالفطر في نهار رمضان وتبقىٰ المنكرات الأخرىٰ، ولهٰذا أسلوب التغيير في الشرع أسلوب علمي ليس أسلوبًا عاطفيًّا، نبينا -وأكرم من أمر ونهىٰ ﷺ- لما صالح المشركين عام ست في عمرة الحديبية علىٰ أن يأتي ويحج ويعتمر من العام القادم اعتمر عام سبع ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا لم يكسر منها واحدًا، وأنهىٰ عمرته ﷺ ورجع إلىٰ المدينة سنة واحدة وعاد فاتحًا ﷺ عام ثمان فدمر الأصنام بيده عليه الصلاة والسلام.

فالوضع الشرعي يجب أن يتعقله الناس أن ثمة مكتسبات عظيمة ولا سيما وجود الأمن والجماعة والبيعة الشرعية، كما هو حاصل ولله الحمد هنا فهٰذه مكتسبات كبيرة ومن خلالها يتصرف الآمر

بالمعروف، من خلالها يتصرف الداعي إلىٰ الله، العالم بنشر علمه، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بنشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال وجود جماعة، ولهٰذا أمرنا بالصبر علىٰ ما يقع من جور الأئمة حفاظًا علىٰ الجماعة، لتبقىٰ جماعة لها كيان تحفظ فيها الأعراض والدماء، ويحفظ فيها أمن الأمة ويقع فيها ما يقع من الخير الكثير، وهٰذه المنكرات الموجودة يحتسب عليها، ويحذر منها ويسعىٰ في إزالتها، أو في تخفيفها كما كان الصحابة رضي الله عنهم أدركوا جانبًا من المنكرات زمن بني أمية، فكانوا رضي الله عنهم يحافظون علىٰ أصل الجماعة ووجود الدولة، ثم يسعون في المنكرات داخل الدولة، لا أن يخرجوا علىٰ الدولة ويقولوا إن هٰذا هو الوضع الذي سيكون مناسبًا لإزالة المنكرات، هٰذا وضع لا شك أنه ليس وضعًا شرعيًّا بل هو ابتداع، ومن أعظم الابتداع؛ لأن الأصل أن تنكر المنكرات داخل الجماعة، لا أن تنكر المنكرات بالخروج علىٰ الجماعة؛ لأن مجرد الخروج علىٰ الجماعة يعد بدعة غليظة جدًّا ومن أعظم البدع، ولا يمكن أن تزيل المنكرات ببدعة، وحتىٰ لو زالت المنكرات ببدعة فالبدعة أخبث من المنكر، ولهٰذا يجب علىٰ الإنسان أن يسلك المسلك الشرعي، ويحرص علىٰ أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة بالنهج وبالطريق الشرعي، وأن يعلم أنه ليس أغير علىٰ دين الله سبحانه من أصحاب محمد ﷺ الذين أدركوا الحجاج، وأدركوا عبيد الله بن زياد وأمثاله من الولاة وكان في وقتهم ما كان من المنكرات وبقوا مع ذلك داخل الجماعة، وأبوا رضي الله عنهم وأنكروا علىٰ مَنْ خرجوا علىٰ مثل الحجاج رغم ظلمه وتجبره وبطشه حتىٰ قالوا إن عمر رضي الله عنه كان يضرب في الجنايات بالدرة، عصا صغيرة ولما جاء زياد صار يضرب بالسياط يعني زاد في العقوبة، فلما جاء بشر بن مروان صار يسمّر يد الجاني بمسمار في خشبة فلما جاء الحجاج، قال: هٰذا كله لعب، وصار يعاقب في الجنايات العادية يعاقب بالسيف مباشرة، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يكون في ثقيف كذّاب ومبير**» الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الذي ادعىٰ النبوة، والمبير هو المهلك الفاسق الذي قتل الناس ذاك القتل الذريع وهو الحجاج ومع ذلك صلىٰ الصحابة رضي الله عنه خلفه، وصبروا علىٰ ما وقع منه من تعد وجناية حفاظًا علىٰ كيان الأمة، وأنكروا المنكرات بالقدر الموجود شرعًا؛ لأن المنكرات الأمر فيها من جهة إزالتها لا شك أنه علىٰ درجات، والذي بيد طالب العلم وبيد أهل الخير والصلاح أن ينشروا الخير وأن يحذروا من المنكر؛ فإذا وصلنا إلىٰ حد أنه لن يُزال المنكر إلا بمنكر أشد منه فمما نص أهل العلم عليه: أن المنكر إذا كان لن يزول إلا بمنكر أشد إنه لا ينكر، ولهٰذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله تعالىٰ لما جاء التتار، وكان التتار أهل تعدي علىٰ الناس في أموالهم ودمائهم وفي أعراضهم فكان بعض التتر يشرب الخمر، وإذا شرب الخمر سكر ثم سقط في موضع وبقي فترة مخمور من آثار الخمر، يستريح الناس فكان بعض تلاميذ شيخ الإسلام ينكرون علىٰ التتار شرب الخمر فيقول شيخ الإسلام كما في «الاستقامة»: فكنت أنهاهم عن أن ينكروا عليهم شرب الخمر لِمَ؟ قال: لأنهم إذا شربوا الخمر استراح الناس منهم، فوقع الواحد منهم -كما هو الحال نسأل الله العافية من المخمورين- قد ينام نصف النهار أو النهار كامل، قال: فإذا سقط الواحد من هؤلاء استراح الناس منهم، واستراحت النساء، قد يواجه وهو غير مخمور قد يواجه امرأة ويفجر بها، وإذا كان غير مخمور ومعه سيفه وسلاحه وسطوته قد يتسلط علىٰ إنسان فيقتله أو يأخذ ماله، قال: فإذا شرب الخمر، الخمر منكر، لكن المنكر الذي سيقع لو أنه كان مفيقًا أشد من التعرض لنساء المسلمين وأموالهم ودمائهم، فقال: فكنت آمرهم ألا ينكروا عليهم، فإذا شربوا الخمر فشرب هؤلاء الخمر علىٰ ما فيه من منكر أخف من أن يتعرضوا للناس في دمائهم وأموالهم.

وهٰذه المسائل مسائل كبيرة جدًّا أيها الأخوة، مسائل الجماعة، مسائل التعامل مع المنكر، مسائل تحتاج إلىٰ فقه كبير جدًّا في السياسة الشرعية، وتقديم الأولويات، والنظر في مآلات الأمور وعواقبها وما الذي ستصير إليه، ولهٰذا لما ذكر رحمه الله ما يتعلق بالهجرة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام احتجنا أن نعرّف ما بلد الإسلام.

ثم هنا أمر آخر أثير في الأزمنة الأخيرة يتعلق بالطاعة، هل يطاع الحاكم الذي له حكم علىٰ بقعة محددة الحاكم من المسلمين أو لا يطاع إلا الحاكم العام الذي يكون له خلافة مثل خلافة عمر وأبي بكر وعلي وعثمان رضي الله عنهم وخلافة معاوية لما جاء عام الجماعة بحيث لا يطاع إلا من له ولاية عامة علىٰ المسلمين؟

ينبغي أن يُعلم أن هٰذه الشبهة إنما صدرت أولا من الجهل بشيئين:

الأول: الجهل بحقيقة الأحاديث الواردة في هٰذا.

الأمر الثاني: الجهل بحقيقة تاريخ أمة محمد ﷺ.

أما الجهل الأول: فعلىٰ النحو الآتي قد ثبت عن النبي ﷺ في صحيح مسلم أنه قال: «**إنه ستكون خلفاء فتكثر أو فيكثرون**» قالوا: فما تأمرنا مع كثرة هؤلاء الذين يلون الناس؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم**»

وهو الطاعة «**فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» فأثبت ﷺ وجود أكثر من خليفة، وقال في اللفظ الآخر: «**فو ببيعة الأول فالأول**» أعطوهم بيعتهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم.

ولما سأله سلمة بن يزيد: **أرأيت إذا قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم** يعني من عادة الحاكم أن يقول: أطيعوا أنا لي عليكم الطاعة، **ويمنعوننا حقنا** يعني هو يريد أن يؤدىٰ إليه حقه لكن حقنا لم يصل إلينا، فأعرض ﷺ عنه فسأله ثانية فأعرض عنه، فسأله ثالثة فلما ألح قال عليه الصلاة والسلام: «**أدوا إليهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» مع هٰذا الإلحاح الكثير قال: «**أدوا إليهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، قوله ﷺ والحديث في «صحيح مسلم»: «**إنه ستكون خلفاء فيكثرون**» فيه إخبار بأن الوضع الذي كان زمن النبي ﷺ من وجود حاكم واحد، أو الذي وجد زمن الخلفاء الراشدين من وجود حاكم واحد هو أبو بكر فقط، ثم عمر فقط، ثم عثمان فقط، ثم علي فقط، ثم معاوية فقط، أخبر أنه سيتغير، إنه ستكون خلفاء فيكثرون ماذا أمر به عليه الصلاة والسلام حيال هٰذه الكثرة؟ أمر أن يوفىٰ ببيعة الأول فالأول وأن يؤدىٰ إلىٰ هؤلاء حقوقهم، وقد علق القرطبي شارح «مسلم» علىٰ هٰذا الحديث تعليقًا حسنًا فقال رحمه الله: إن وجود أكثر من حاكم وجد زمن السلف الأول في القرن الأول الهجري متىٰ هٰذا؟ لما وجد ابن الزبير فبايعت له العراق واليمن ومكة والمدينة، وبايعت الشام لمروان، فصار مروان يسمع له ويطاع في الشام، وصار ابن الزبير يسمع له ويطاع في هٰذه البلدان، والقضاة والقضايا التي يقضىٰ فيها هي في إطار حكم معين تحت حكم شرعي لا شك أن الجميع ما كان هناك في الأمة شيء اسمه تحكيم غير الشرع بتاتًا، إنما نشأ هٰذا في القرون الأخيرة، فكان الناس يطيعون هنا ويطيعون هناك.

لما سقطت الدولة الأموية عام واحد وثلاثين ومائة وجاءت الدولة العباسية بالغلبة وتمكنت من هزيمة بني أمية، ثبتت الولاية لبني العباس بالقوة؛ لأنهم تمكنوا بالغلبة فصارت الدولة العباسية دولة وخلافة إسلامية ثبت لها السمع والطاعة في البلاد مثل العراق وفي مثل الشام وفي مثل مصر والمواضع التي كانت فيها، وكان الإمام أحمد والشافعي ومالك والأئمة في زمن بني العباس يأمرون بالسمع والطاعة لهم.

بنو أمية أقاموا دولة في الأندلس المسماة الآن بأسبانيا وبأجزاء من البرتغال أقاموا هناك دولة، فكان العلماء في بلاد الأندلس يوجبون السمع والطاعة لبني أمية، والعلماء في دولة بني العباس يوجبون السمع والطاعة لبني العباس فوجد أكثر من خلافة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، قال شيخ الإسلام –

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله-: من يقول إنه لا يسمع ولا يطاع إلا لخليفة واحد هٰذا لا يعرف ما وقع في الأمة، فإن الخلافة بهٰذا المعنىٰ لم توجد من قبل زمن الإمام أحمد وهٰذا كلام دقيق جدًّا، لماذا قال من قبل زمن الإمام أحمد؟ لأنه في زمن بني أمية لا شك كانت الدولة واحدة، في زمن الخلافة الراشدة كانت الدولة واحدة، لما جاءت دولة بني العباس كثر الخروج علىٰ بني العباس، وكثر الافتراق في زمن بني العباس، نعم في أولهم كانوا أقوياء وضبطوا كثيرًا من البلاد لكنهم لم يتمكنوا من ضبط دولة الأندلس التي كان فيها بنو أمية فكان فيها خلفاء في بلاد الأندلس، وخلفاء في المشرق هنا الإسلامي في مصر والشام والعراق والحجاز ونحوها، فكان يسمع لهؤلاء ويطاع، فالقول بأنه ليس هناك دولة إسلامية إلا إذا كان عليها خليفة عام لا شك أن هٰذا قول باطل.

ومن جميل ما يقال في هٰذا أن القرطبي رحمه الله تعالىٰ الذي يقول هٰذا الكلام ويقرره هو في زمن بني العباس؛ لأنه توفي لما سقطت دولة بني العباس، هو يقول ذلك الكلام وقت وجود الخلافة فالقول بأنه لا يسمع ولا يطاع إلا لخليفة عام لا شك أنه قول باطل مبتدع وليس عليه أساس، وعمل المسلمين ودلالات الأحاديث كلها علىٰ خلاف هٰذا، ولهٰذا لما قال الشيخ محمد رحمه الله تعالىٰ: إن هٰذا الوضع قد تغير قبل زمن الإمام أحمد يشير إلىٰ ما ذكرناه، من أن الوضع إنما كان زمن بني أمية في زمن بني أمية كانت الدولة واحدة ومن أعجب حكامهم عبد الملك بن مروان فإنه رضخت له جميع البلاد، وانتهىٰ جميع منازعوه واستمرت في قوة إلىٰ أن وصلت إلىٰ زمن مروان بن محمد فسقطت وقامت علىٰ أنقاضها الدولة العباسية، ومع ذلك في زمن بني العباس كما قلنا أناس من بني أمية أقاموا دولة بالأندلس فكان يسمع لهم ويطاع، وكذلك بنو العباس كان يسمع لهم ويطاع هٰذا في وقت عز وقوة في عام مائة واحد وثلاثين، يعني في القرن الثاني كبار التابعين موجودون رضي الله عنهم، فكيف في وقتنا نحن الآن هٰذا؟! ولهٰذا انتشار هٰذا القول خطر للغاية لأن معناه أن الأمة تبقىٰ هكذا حتىٰ يأتيها خليفة الله أعلم متىٰ يأتيها خليفة، ثم يترتب علىٰ هٰذا أمر خطير جدًّا لا يتفطن له، ماذا عن أحكام القضاة؟ هؤلاء القضاة الذين يقضون في الطلاق، وفي إحلال فروج النساء بالنكاح، وفي أمور الحكم في مسائل الدماء، وفي مسائل الأموال ماذا يقال فيها؟ إذا لم يكن هٰذا الوضع وضعًا سويًّا سليمًّا معناه أنه يطعن في أصل هٰذه الأحكام.

فالقول هٰذا خطير جدًّا، ولا شك أنه إنما غذّاه وانتشر غذّاه الجهل في الحقيقة، الجهل بالأحاديث

والنصوص مثل هٰذه النصوص التي ذكرنا، وحال إجماع الأمة علىٰ هٰذا الحال وسريان الأمة علىٰ هٰذا الوضع سنين طويلة من عهدها، في وقت عز وفي وقت قوة وتمكن فكيف في هٰذا الحال الذي صارت الأمة علىٰ الوضع الذي تكالب عليها أعداؤها؟! فلو انتشر هٰذا وقيل أنه لا يسمع ولا يطاع معناه أن الأمة تكون في حال من الفوضىٰ والخروج عن الجماعة والجاهلية المستديمة في جميع أنحاء الأمة حتىٰ يأتي وضع الخلافة الذي الله أعلم متىٰ يأتي.

الحاصل أن السمع والطاعة للحاكم المسلم واجب شرعًا، والدولة الإسلامية لها مدلول ولله الحمد، ولها وضع محدد بينته النصوص وبينه أهل العلم رحمة الله تعالىٰ عليهم وليست شيئًا هلاميًّا غريبًا كأنه من مسائل الرياضيات أو غيره، عرّفها أهل الإسلام رحمه الله الفقهاء تعريفًا واضحًا: **التي يظهر فيها شعائر الإسلام، فإذا ظهر فيها شعائر الإسلام، والحاكم مسلم فإنها دولة إسلام** متىٰ تكون، كما أنك الآن تقول الدول الاشتراكية هي التي يسود فيها المفهوم والمذهب الاشتراكي، والحكم القائم علىٰ النهج الاشتراكي الخبيث، فتقول: هٰذه دولة اشتراكية. لماذا إذا وجدت شعائر الإسلام ووجد الحاكم المسلم ما تكون دولة إسلامية؟! فالواجب أن يعرف أن مثل هذه الأمور الخوض فيها بلا بصيرة وبلا علم سبّب إشكالات كثيرة، وسبّب نوعًا من القدح في إجماعات الأمة السابقة، ويجب -مثل ما قلنا- يجب أن تتلقىٰ مثل هٰذه الأمور الكبيرة الخطيرة عن أهل العلم، وأن لا تكون موضع اجتهادات، يعني سمعت أحدهم لم يتجاوز يعني في العشرينات من عمره يقرر مثل هٰذه المسألة، أمر خطير جدًّا، ليس الأمر بالسهولة أن يقال كلام ينشر في الأمة علىٰ خلاف إجماع علماء الأمة، وعلىٰ خلاف إجماع الوضع، وعلىٰ خلاف الإجماع التطبيقي للأمة الذي مشت عليه، فينبغي أن يعلم هٰذا وأن لا يغرر بالمسلمين، ويشجعوا علىٰ الفوضىٰ، والخروج علىٰ الجماعة باسم أنه لا توجد خلافة بل أوجب الله تعالىٰ السمع والطاعة وحصل هٰذا الأمر في سنين قبلنا، فكيف بالوضع الذي عليه الأمة وقد تكالب عليها أعداء الله من اليهود والنصارىٰ، صاروا يستخدمون وسائل وطرقًا باسم الدين ليوجدوا هٰذه الفوضىٰ وهٰذا الاضطراب الحاصل في بلاد الإسلام، فالحذر الحذر ولا يتلقىٰ العلم إلا من أهله، يتلقىٰ العلم من كبار أهل العلم رحمهم الله كما تقدم عن ابن مسعود: «إنما يهلك الناس إذا أخذوا العلم عن أصاغرهم، وإنما ينجون إذا أخذوا العلم عن أكابرهم» أهل العلم والرسوخ والبصيرة، فينبغي أن يلاحظ هٰذا وأن يتفطن منه ولا سيما في المسائل والنوازل الكبيرة، فإنها ليس من السهل الخوض فيها لكل أحد.

قال رحمه الله في أمر الهجرة: إنها باقية إلىٰ أن تقوم الساعة، يعني النقلة وترك بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام هٰذا أمر واجب ولا يمكن أن ينقطع، أما قوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**» فهو مخصوص بمكة، بعد أن فتحها الله علىٰ النبي ﷺ لا يهاجر الناس؛ لأنها صارت بلد إسلام مكة مرت بثلاثة أطوار؛ طوران هي بلاد كفر، وطور هي بلاد إسلام.

أما الطور الأول: فهو ما قبل عام ست بعد أن هاجر منها النبي ﷺ لا شك أنها بلد حرب كافرة، لما عاهدوا في صلح الحديبية صارت بلد كفر معاهد، فلما فتحها النبي ﷺ عام ثمان صارت بلد إسلام، وكان المسلمون يؤمرون بالهجرة منها؛ لأنهم يفتنون في دينهم فلما فتحها الله علىٰ المسلمين وصارت بلاد إسلام، لم يعد هناك حاجة لأن يهاجر منها المسلمون، ولهٰذا من جاء ليبايع النبي ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: «**مضت الهجرة لأهلها**» أما الآن كيف تهاجر من مكة، مكة بلد إسلام، والمدينة بلد إسلام، فلو أردت أن تنتقل للمدينة لتتعلم العلم نعم لكن فاتتك فضيلة الهجرة، ولهٰذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا هجرة بعد الفتح**» لأنها فتحت وإنما يهاجر منها حين كانت بلاد كفر.

قال: وهي باقية يعني الهجرة من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام إلىٰ أن تقوم الساعة والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ استثنىٰ الله تعالىٰ المستضعفين ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨﴾ عوقب هؤلاء؛ لأنهم بقوا مع أنهم مسلمون بقوا في بلاد الكفر يفتنون عن دينهم ولا يتمكنون من إظهاره فعوقبوا؛ لأن الواجب عليهم أن ينتقلوا من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام، أما قول الشيخ في قوله: وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ قال البغوي رحمه الله تعالىٰ: سبب نزول هٰذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان... إلىٰ آخره، الذي في البغوي قوله رحمه الله: نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، هٰذا هو القدر الذي نقله الشيخ رحمه الله، أما عبارة ناداهم الله باسم الإيمان هٰذه من الشيخ محمد رحمه الله نفسه، فظن يعني بعض أهل العلم والفضل أن الشيخ محمد يعني ربما أنه وهم في النقل، ما وهم رحمه الله وإنما قال جزء من كلام البغوي وهو سبب نزول الآية فقط، سبب نزول الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، هٰذا مراده أن ينقل من تفسير البغوي هٰذا

فقط، ثم تكلم رحمه الله تعالىٰ فقال: ناداهم الله باسم الإيمان، يعني أن يهاجروا باسم الإيمان بأن قال: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ناداهم باسم الإيمان.

قال: والدليل علىٰ الهجرة من السنة، أن الهجرة باقية في الأمة قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة**» ومتىٰ تنقطع التوبة؟ «**ولا تنقطع التوبة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**» يأتي الكلام الآن علىٰ أمر بلاد الكفر والمقام فيها، اعلم أنه لا يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفر للسياحة بتاتًا، وهٰذا هو المعروف المعلوم عند أهل العلم، لأن السياحة لا يمكن أن تكون سببًا تقتحم به بلاد الكفر ويقيم الإنسان فيها مع ما يرىٰ من تلك المظاهر العظيمة الفظيعة في الشرك الصريح بالله سبحانه، ومع مساوئ الأخلاق وقبائح الأمور الموجودة عندهم، وإنما يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفر بشروط معينة:

الأمر الأول: الحاجة التي لا مدفع لها كعلم لا يوجد إلا عندهم، أما إذا وجد العلم عند المسلمين فلا يحل السفر وأن يبعث الناس إلىٰ بلاد الكفر، وإنما يوجد علم عندهم ليس موجودًا عند المسلمين، أما إذا وجد عند المسلمين فإنه يتعلم عند المسلمين ولا يذهب إلا بلاد الكفر، هٰذا هو الشرط الأول.

من الحاجة أيضًا: العلاج الذي لا يوجد عند المسلمين ويوجد عند الكفار فهٰذا أمر أيضًا لا مدفع منه.

وهكذا التاجر كما نص أهل العلم الذي يتاجر بقدر حاجته، فربما احتاج أن يسوق تجارته وأن يسافر هناك، فإنه يسافر ويعمل علىٰ أمر تجارته ثم بقدر ما يعمل في أمر تجارته فأنه يرجع ما يمكث يقول سأبقي سأنهي بقية هٰذا الشهر مثلا فيه، وسأتنقل متفرجًا، لا، إنما بقدر تجارته، ولما نص أهل العلم علىٰ صحته.

الشرط الثاني: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ لأن بلاد الكفر مليئة بالتنصير وبالإلحاد، فأن يذهب إنسان لا يملك أن يدفع شبههم لا يصلح.

الشرط الثالث: أن يكون عنده دين وتقوىٰ تمنعه من الشهوات؛ لأن أولئك أناس لا أعراض عندهم، وليس عندهم حياء، وما حياتهم إلا كحياة البهائم بل هي دونها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤] فلا يحل أن يذهب إنسان يمكن أن يتورط بأن يرجع بمفاهيم أهل الإلحاد والكفر أو التنصير أو –والعياذ بالله– أن ينتكس لقلة دينه وورعه ثم يذهب إلىٰ بلادهم، ولهٰذا ذكر الشيخ محمد بن

عثيمين رحمه الله تعالىٰ هنا خطورة بعثة الشباب الصغار، هٰذا أمر خطير جدًّا أن يبعث الشباب الصغار إلىٰ تلك البلاد مع ما هم فيه من عدم تحقق هٰذه الشروط، فتارة يكون العلم الذي بعثوا ليدرسوه موجود بل موجودًا في البلد.

الأمر الآخر: الشبهات، الواحد منهم لا يدفع أدنىٰ شبهة عن نفسه، ولهٰذا تورط منهم من تورط -عياذًا بالله- بمذاهب السوء، انتكس وعاد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، بسبب قلة علمه ودرايته.

الأمر الآخر: الشهوات، شاب ليس عنده تلك التقوىٰ التي تردعه وأمامه -عياذًا بالله- الفواحش ليل نهار في الطرقات علنًا، فلا يحل مثل هٰذا ولا يبتعث مثل هؤلاء وإنما يبتعث من ذكرنا، ممن ذكر الشيخ محمد الشروط هذه ذكرها أهل العلم، وممن ذكرها الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله وأمثاله، وله تنبيه مفيد جدًّا علىٰ السفر إلىٰ بلاد الكفر أنه لا يصح ولا يحل السفر علىٰ سبيل السياحة والتنقل في بلاد الكفر، باسم أنه يريد أن ينظر إلىٰ الأنهار وينظر إلىٰ عجائب ما أودع الله تعالىٰ في بلادهم من تلك النباتات وتلك الحدائق ذات البهجة ونحو هٰذا، هٰذا كله غير مبرر ليس بمبرر كاف أبدًا، وإنما المبرر وجود الحاجة كما ذكرنا، وأن يكون الإنسان أيضًا -وهٰذا شرط لا بد منه- أن يظهر دينه، يكون قادرًا علىٰ أن يظهر دينه، يظهر دينه، ويؤدي ما أوجب الله تعالىٰ عليه، والذين يجب أن يستحوا ويخجلوا هم أهل الكفر، لا المسلم الذي أكرمه الله تعالىٰ وأعزه بالإسلام، يعيش هناك كأنه غريب ذليل، يستحي من الصلاة أو يستحي من الصيام لا، ما ينفع هٰذا بل يظهر دينه ويكون به معتزًا ومظهرًا لدينه وكم سبّب إظهار الدين والعزة به كم سبّب من إسلام أولئك؛ لأن في إظهار الدين مصالح عظيمة منها إعزاز الدين، ومنها دعوة غيرهم دعوة الكفار إلىٰ الدين نفسه؛ لأنهم إذا رأوا مثل هٰذه المظاهر سألوا عنها، وربما طلبوا ممن أظهرها أن يبين لهم الدين وأن يشرحه لهم فربما أسلموا، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين المسلم عزيز بدين الله سبحانه والشيء الذي يجعله ينهضم في دينه ويختفي كأنه لص أو كأنه معه شيء يختفي به لا شك أن هٰذا ليس هو الوضع السوي، ولهٰذا من مليح ما ذكر أن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وأرضاه أرسله النبي ﷺ مرة إلىٰ الحبشة، فلما أرسله كان لهم باب لا يدخل أحد منه إلا منحنيًا يعني علىٰ سبيل التواضع، جعلوا هٰذا الباب لا بد أن تنحني فلما رآه عمرو رضي الله عنه أعطاه دبره ورجع القهقرة فغاظهم جدًّا وغضبوا؛ لأنهم يريدون أن يتطامن هكذا فعكس المسألة وأعطاه قفاه نوعًا من إهانته وعدم الاكتراث به، فسأله النجاشي ما الذي حملك علىٰ هٰذا؟ قال: إنَّا لا نصنع هٰذا بنبينا

ﷺ يعني لا ننحني لرسول الله ﷺ، تريدني أن أنحني لهٰذا، فأمرهم النجاشي بالكف عنه.

فالواجب أن يكون المسلم معتزًّا، أما أن يقول الإنسان: لا أستطيع أن أعتز ولا أستطيع أن أفعل هٰذا ولا أستطيع أن أصلي، لكني سأسافر إلىٰ بلادهم أتفرج علىٰ السياحة وأنظر، تترك أمر دينك وأمر إظهاره لأجل أن تتفرج علىٰ أنهار وعلىٰ حدائق لا شك أن هٰذا لا يحل، وأن الفتوىٰ بجوازه أنها غلط محض، وأن كبار علمائنا رحمهم الله ما زالوا ولم يزالوا علىٰ الفتوىٰ بتحريم مثل هٰذا، وأن أمر الدين أكبر وأعز وأعظم من أن يمتهن لأجل تفرج علىٰ حدائق، أو علىٰ أنهار أو علىٰ غيرها.

استقر ﷺ بالمدينة، فأمره الله ببقية شرائع الإسلام كالزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك، ومنه الأذان، وهٰذا كما قلنا دليل كبير علىٰ أن الدولة الإسلامية تقام علىٰ عقيدة، لاحظ أنه عليه الصلاة والسلام مكث عشر سنين يؤسس العقيدة، جاءت الشرائع والأحكام وكثير من تفاصيل أحكام الشرع في المدينة، وهٰذا يدلك علىٰ أن الأصل في الدولة الإسلامية أن تبنىٰ علىٰ العقيدة، وتكون الأحكام الشرعية تبعًا، أما لو أقام أحد الأحكام الشرعية في ضوء عقيدة منهارة فاسدة فإن هٰذه ليست دولة إسلامية، إذا أمر مثلا بالصلاة والزكاة والصيام والحج لكن الشرك ضارب أطنابه في أنحاء البلد، وأهل الدعوة إلىٰ الشرك يظهرون هٰذه الدعوة ليل نهار، لا يمكن أن يكون هٰذا هو الوضع السوي؛ لأن الأصل أن الأحكام تبنىٰ علىٰ العقيدة، لا أن تقام أحكام مقطوعة عن العقيدة؛ لأن هٰذا خلل بيِّن واضح، لهٰذا مكث ﷺ يؤسس العقيدة عشر سنين، ولما انتقل إلىٰ المدينة احذر أن تقول كف عن العقيدة حاشاه ﷺ لا يمكن أن يكف عن العقيدة، حتىٰ وهو في سياق الموت عليه الصلاة والسلام يقول: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا، العقيدة لا يمكن أن يكف عن الدعوة إليها، يدعىٰ إلىٰ العقيدة، ليل نهار دائما، لكن تفاصيل الأحكام الشرعية جاءت في المدينة، وأقيمت الدولة الإسلامية في المدينة، أما مكة ما كان فيها دولة إسلامية بمعنىٰ الدولة التي فيها حكم والنبي ﷺ فيها الحاكم، هٰذا غير ممكن وغير مستطاع؛ لأن المجتمع مجتمع كافر، والمسلمون قلة مستضعفة، فلما انتقل عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة أقيمت الدولة الإسلامية في المدينة، أخذ ﷺ علىٰ هٰذا عشر سنين يعني في المدينة وبعدها توفاه الله صلوات الله وسلامه عليه.

أحسن الله إليكم:

أخذ علىٰ هٰذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق، وهٰـذا دينـه ولا خيـر إلا إذا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها عنها، والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبـه الله ويرضـاه، والشر الذي حذر عنه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلىٰ الناس كافة، وافترض طاعتـه علىٰ جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعـالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وأكمل الله له الـدين، والـدليل قولـه تعـالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

النبي ﷺ وإن مات كما لا شك أنه مات صلوات الله وسلامه عليه فإن دينـه –ولله الحمـد– بـاق مـن نعمة الله تعالىٰ أن دين رسول الله ﷺ الذي ارتضاه الله تعالىٰ أن هٰذا الدين الـذي ارتضـاه الله، وبعـث بـه نبيه ﷺ يتولىٰ الله سبحانه من فوق سبع سمٰوات نصره وتأييده، ولهٰذا ثبت عنه عليه الصلاة والسـلام أنـه قال: «**لا يزال الله يغرس لهٰذا الدين غرسًا**» فنصر الدين ونشره ليس قائمًا علـىٰ جهـد فـلان أو فـلان، أو علىٰ دولة معينة دون دولة، نعم جهود المسلمين كلها يجب أن تتضافر علـىٰ هٰـذا، لكـن لـنعلم أن نصـر الدين إلهي محض، وأن الله يتولىٰ من فوق سبع سمٰوات نصر دينه وأن أمر الدين لا يمكن أن تقف أمامه قوىٰ الغرب أو الشرق، ولهٰذا هو منتصر رغم أنوفهم، ولهٰذا هو الآن ينتشر في بلاد الغـرب علـىٰ هيئـة لا نظير لها في تاريخهم فيما نعلم انتشارًا عظيمًا جدًّا لا نظيـر لـه؛ لأن الله تعـالىٰ هـو الـذي يتـولىٰ إعـزازه ونصره، فدينه هٰذا النبي الكريم ﷺ باقٍ لما توفي ﷺ لـم يكن شيء من الخير يمكن أن يـدل الأمـة عليـه، إلا وقد دلهم عليه ولم يكن شر يمكن أن تقع فيه الأمة إلا وحـذرها منـه عليـه الصـلاة والسـلام، فـأدىٰ الأمانة علىٰ أكمل ما يكون عليه الصلاة والسلام، أعظم الخير الذي دل الأمة عليه التوحيـد، وجميـع مـا يحبه الله، وأعظم الشر الذي حذر منه الشرك ثم جميع ما يكرهه الله ويأباه، وبعثته يجب أن يُعلم أنها إلـىٰ الناس كافة، فليس بعده نبي كائنًا ما كان، كل من ادعىٰ النبوة بعده فإنه كافر مرتد، هو ومـن تبعـه، إذ هـو خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يأتي بعده نبي، وطاعتـه فـرض علـىٰ الجـن والإنـس قـال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ومـن كـان قبلـه مـن الأنبيـاء كـانوا يخـاطبون قـومهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ

يَٰقَوْمِ﴾ فكانوا يخاطبون أقوامهم؛ أما النبي ﷺ فجعله الله تعالىٰ للجن والإنس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ودينه -ولله الحمد- أكمل دين فليس بحاجة إلىٰ ابتداع ولا إلىٰ اختراع، قال الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونأخذ الآن بعض الأسئلة ونتم البقية إن شاء الله بعد صلاة المغرب.

هنا سؤال مهم الحقيقة يقول السائل فيه: الكثير من الغلاة يستدلون بكلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة علىٰ تصرفاتهم المخالفة للشرع، ثم توصف دعوة الشيخ محمد بالغلو فما الجواب علىٰ مقولتهم؟

وما ذنب الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذا استدل بقوله أحد منحرف، ما ذنبه هو، أن يستدل منحرف بقوله، هؤلاء الذين ينحرفون هل استدلوا بقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده أو استدلوا بقول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة والتابعين؟! هل أيضًا سيقال إن الصحابة والتابعين غلاة، وإنهم سبب من أسباب نشر الغلو؛ لأن الغلاة يستدلون بأقوالهم؟! لا شك أن هٰذه المقولات مقولات من شرق بدعوة الشيخ محمد من الروافض والليبراليين والعلمانيين وأهل الفجور والفساد، أما مجرد أن يأتي إنسان يتصرف تصرفًا غير شرعي مخالف للشرع يبطله أهل العلم وممن يبطله الشيخ محمد نفسه رحمه الله فيما نص عليه، ثم يقال: الدليل علىٰ ابن عبد الوهاب هو الذي يغذي هٰذه التصرفات الخاطئة أن أهل الغلو يستدلون بقوله، أهل الغلو يستدلون حتىٰ بكلام الله تعالىٰ، وبكلام الرسول ﷺ، بكلام الصحابة والتابعين فهل يؤاخذ الصحابة والتابعون، ويؤاخذ الرسول ﷺ ويقال: إن القرآن سبب للغلو لا شك أن هٰذا ليس مسلك المنصفين، فكونه يستدل بكلام الشيخ أو بكلام غيره رحمه الله تعالىٰ من أئمة الإسلام -كالإمام أحمد وابن تيمية، أو حتىٰ بكلام الصحابة والتابعين- ليس هٰذا ذنبهم، بل المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام النصارىٰ تدعي أنه هو الذي أمرهم بأن يعبدوه، ولهٰذا في القيامة يقول له الله تعالىٰ علىٰ الأشهاد: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] يعني بناء علىٰ دعوىٰ النصارىٰ حتىٰ يبطلها، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إلىٰ آخر الآيات، فكونه يستدل بكلام أحد أهل العلم علىٰ تصرفات مخالفة للشرع، وهٰذا الرجل من أهل العلم ينص نصًّا علىٰ بطلان ما يستدل به هؤلاء الذين يستدلون بكلامه علىٰ بطلان مسالكهم، ما ذنبه؟ إما أن يقول قائل: قولًا متهورًا واحدًا إذا استدل أهل الباطل بكلام أحد فيجب أن نقصيه، في هٰذه الحالة سنقصي الصحابة والتابعين وأحاديث النبي ﷺ، وإما أن يقول قولة أهل الإنصاف كون أهل الباطل يستدلون بكلام الشيخ محمد أو غير الشيخ محمد من أهل العلم وأهل السنة لا يعني ذلك أن يدان الشيخ بكلام من خالفوا نهج الشيخ نفسه ثم استدلوا علىٰ

باطلهم بكلامه؛ لأنهم يستدلون بكلام الله كما قلنا وكلام النبي ﷺ وكلام الصحابة والتابعين.

يقول: حكم الإنكار علىٰ الولاة علانية والتشهير بعيوبهم أمام عامة الناس؟

قد حسم النبي ﷺ ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في المسند، قال عليه الصلاة والسلام -فيما صح عنه-: «**من أراد أن ينصح ذي سلطان فلا يبده علانية**» يعني لا يظهر علانية وليأخذ بيده يعني فيما بينه وبينه ولأجل أن يسر، «**فإن قبل فذاك وإلا كان قد أدىٰ الذي عليه**»، يعني إذا قبل الحاكم منك ما أسررته إليه أو أوصلته إلىٰ عالم أو إلىٰ أحد يصل إليه فأوصله إليه فقبل فالحمد لله، إذا لم يقبل، النصيحة وصلت وأديت الذي عليك، فأما أن يكون هٰذا علىٰ الملأ فلا شك أن هٰذا ليس المنهج سوي صحيح وليس بسديد.

يقول: السفر إلىٰ الدول الخارجية من أجل الدعوة فهل فهٰذا مبرر؟

يعني قبل أن نقول ما حكم السفر إلىٰ هٰذه الدول الخارجية من أجل الدعوة من هو هٰذا الذي سيذهب ليدعوا هل هو مؤهل؟ فيه الشروط السابقة؟ وكونه يدعوهم لا شك أنه يحتاج كما ورد في حديث معاذ رضي الله عنه لما أراد أن يذهب إلىٰ اليمن قال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**» يقول أهل العلم: إن في هٰذا تنبيهًا له إلىٰ أنهم ربما كان عندهم شبهٌ، وربما كان عندهم إيرادات يوردونها فليستعد لهم.

الأمر الآخر أنه يدعو إلىٰ الله سبحانه علىٰ هيئة لا يكون فيها مناقضة لأحكام الشرع، فيجب عليه أن يلاحظ ما يتعلق بأحكام الشرع في نفس الدعوة، بحيث يدعو ولو أريد علىٰ أمر فيه مخالفة للشرع فإن شرعنا يخالف هٰذا وبقاؤه هناك ذكر الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله تعالىٰ: أن من مكث هناك يدعو -ذكره في الشرح هنا- أن من مكث يدعوهم وينفع الله سبحانه به في بلادهم فإن هٰذا معدود في الجهاد في سبيل الله سبحانه؛ لأنه يجعله الله تعالىٰ سببًا في إخراجهم من أباطيلهم وضلالهم، لكن ما يذهب أي أحد في الدعوة عند بعض الناس عند أي أحد، لا، الدعوة إلىٰ الله لها أهلها ابتداء ثم إن الدعوة في تلك البلاد لها خصوصية؛ لأنه يواجه أناسًا عندهم شبه، ويواجه أحوالًا ونوازل ما الحكم الشرعي، ثم العيون تنظر إليه؛ لأنه إذا تصرّف تصرّفًا معيّنًا حُسب علىٰ الإسلام، وهٰذا يدعو إلىٰ الإسلام وتصرفه يدل علىٰ أن هٰذا من الإسلام، فيلاحظ هٰذا فلا يذهب إلىٰ الدعوة إلىٰ الله أي أحد، ولهٰذا للداعي إلىٰ الله ينبغي أن يسبر وضعهم وأحوالهم ويتعرف عليهم قبل أن يدخل وتفاجئه الأمور وهو لا يدريها.

المجلس الرابع

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهٰذا المجلس الرابع في شرح الكتاب الثاني من برنامج التعليم الميسر، والكتاب الثاني هو «ثلاثة الأصول وأدلتها» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالىٰ، المتوفىٰ سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بمدينة الرياض، مغرب السبت الثاني من جمادىٰ الأولىٰ لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري -وفقه الله-.

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ:

والدليل علىٰ موته ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر]، والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ [نوح]، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم] ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن].

هٰذا الموضع ذكر فيه رحمه الله تعالىٰ أكثر من مسألة:

المسألة الأولىٰ: الدليل علىٰ موته ﷺ، استدل علىٰ موته بقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ فأخبر الله تعالىٰ الأمة أن هٰذا النبي الكريم لا بد أن يموت، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء] يعني أفإن مت أفهم الخالدون! كلهم سيموتون كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن]، توفي ﷺ كما توفي غيره، وصلي عليه صلوات الله وسلامه عليه صلىٰ عليه المسلمون أرسالاً ثم دفن صلوات الله وسلامه عليه، وهنا نشير إلىٰ حديث مهم في البخاري فيه التفريق بين حال وفاته وحال حياته، فإن الناس في حال حياته كانوا يسألونه ﷺ أن يدعو لهم، ويطلبون منه أن يستغفر

لهم ونحو ذلك، أما في حال وفاته فلا شك أن هٰذا لا يجوز أن يطلب منه بتاتًا؛ لأن وفاته عليه الصلاة والسلام لها أحكام تختلف كل الاختلاف عن الأحكام حين كان حيًّا.

ومن أهم ما يُظهَر في هٰذا حديث في البخاري أن النبي ﷺ دخل علىٰ عائشة رضي الله عنها يومًا فقالت: واراأساه فقال: «**يا عائشة لو كان ذلك وأنا حي فأستغفر لكِ وأدعو لكِ**» وفي اللفظ الآخر: «**ما ضركِ لو متِّ قبلي فكفنتكِ ثم صليت عليكِ ودفنتكِ**» ما فائدة هٰذا الحديث؟ فائدة هٰذا الحديث كبيرة، هي التفريق بين حياته ﷺ، فيطلب منه الدعاء والاستغفار ويأتي الرجل من أصحاب الرسول ﷺ ويقول: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة ونحو ذلك، أما بعد وفاته فإن ذلك ينقطع كله، والدليل أنه ﷺ لما قالت عائشة واراأساه قال: «**ما ضركِ لو مت قبلي فكفنتكِ ثم صليت عليكِ ودفنتكِ**» وفي اللفظ الآخر: «**لو كان ذلكِ**» يعني وفاتكِ «**وأنا حي فأستغفر لكِ وأدعو**» فدل علىٰ أنه عليه الصلاة السلام تكون صلاته علىٰ الناس واستغفاره لهم حال الحياة فقط، فأما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا يطلب منه ذلك؛ إذ لو كان ذلك مما يصح أن يطلب منه عليه الصلاة والسلام لقالت عائشة رضي الله عنها: تستغفر لي وأنت حي، وإذا مت طلبت منك في قبرك أن تستغفر لي، فلماذا فرق ﷺ بين حال حياته وحال وفاته؟ لأنه في حال حياته يصح أن يطلب منه أن يدعو وأن يستغفر، وأن يصلي علىٰ الناس، لكن بعد وفاته لا شك أنه ينقطع ذلك كله، ولهٰذا لما كان هٰذا غير جائز وغير واقع، قال ﷺ: «**لو كان ذلكِ**» بالكسر لأنه يخاطبها مؤنث «**لو كان ذلكِ وأنا حي فأستغفر لكِ**» فأما بعد وفاته فلا يتحقق هٰذا ولا يصح طلبه منه ﷺ بتاتًا، فما يفعله الذين لا يفقهون يأتون ويقولون: إنَّا نطلب منه ﷺ في قبره أن يدعو لنا لو كان هٰذا يسوغ لما قال عليه الصلاة والسلام: «**لو كان ذلكِ وأنا حي**» يعني لو أنكِ توفيتِ وأنا حي فاستغفرت لكِ ودعوت الله، هٰذا أمر.

إذًا فهو بشر ﷺ كغيره من البشر، يموت كما يموت البشر، وتقدم حديث أنه حين يُذاد أناس عن حوضه فيقول: «**مني ومن أمتي**» كما في اللفظ الآخر لأنه رآهم في حال حياته مسلمين هٰذا هو الظاهر منهم، فتقول الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح -يعني عيسىٰ-: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فقالت الملائكة: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فدل علىٰ أنه لا يعلم كما يظن

الجاهلون وأهل الغلو أن النبي ﷺ يعلم ما يقع في أمته، وأنه يمكن أن ترفع إليه الأمور ويخبر بحال أمته لا شك أن هٰذا من اعتقاد أهل التخريف والضلال، فهو عليه الصلاة والسلام قد انقطع أمر علمه بالحياة بمجرد موته؛ لأنه بشر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] فهو من هذه الزاوية بشر، أكرمه الله بالوحي فقال تعالىٰ: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ فهٰذه هي الخصيصة التي اختص بها، وإلا فبقية أحواله فإنه بشر يمرض كما يمرض البشر، يموت كما يموت البشر، يبعث كما يبعث البشر.

ثم قال المؤلف رحمه الله: والناس إذا ماتوا يبعثون، لاحظ عبارات والدليل قوله، والدليل قوله، هٰذا منهج أن العقيدة تتلقىٰ بالأدلة، فهو هنا يقول أن النبي ﷺ مات والدليل قوله تعالىٰ، والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل، وبعدها والبعث يجزون ويحاسبون والدليل؛ لأن هٰذه المسائل تحتاج إلىٰ دليل، وهٰذه سمة أهل الحق أنهم يستدلون دائما علىٰ عقيدتهم ولا يطلقون العقيدة هكذا دون أدلة ولا يلزم الناس باعتقاد شيء دون دليل، والناس إذا ماتوا يبعثون، أي أنهم يخرجون من قبورهم أحياءً بعد أن ماتوا والدليل قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي بالدفن بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وذلك ببعثهم، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨]، وبعد البعث تبعث هٰذه الخلائق لتحاسب ولتجازىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ثم قال الشيخ رحمه الله: ومن كذب بالبعث كفر، سبب نص الشيخ علىٰ أمر البعث وتكراره أن ثمة جماعات غير قليلة في زمنه رحمه الله تعالىٰ من الأجلاف كانوا ينكرون البعث وكان الشيخ يتحدث عنهم وعن كفرهم بالله سبحانه؛ لأن من أنكر البعث فإنه كافر ونعىٰ الشيخ علىٰ من قال: إن هؤلاء مسلمون يقول: كيف يكون هؤلاء من المسلمين وهم ينكرون البعث؟ والذي ينكر البعث ماذا سينكر؟ سينكر الجزاء والحساب، وإذا أنكر الجزاء والحساب سينكر الجنة والنار، فهم ينكرون هٰذا كله يقول الشيخ: كيف يكون هؤلاء من المسلمين نعوذ بالله؟ ولهٰذا كرر الشيخ هنا أمر البعث والدلالة عليه والجزاء والحساب؛ لوجود هٰذه الطائفة في وقته رحمه الله تعالىٰ.

ثم ذكر قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وأولهم نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والدليل علىٰ أن نوحًا أول الرسل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]، وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلىٰ محمد عليهم الصلاة والسلام يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ذكر رحمه الله ما يتعلق بالرسل، وأن الله تعالىٰ أرسلهم مبشرين من أطاع، ومنذرين من خالف، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾، حكمة إرسالهم أن تنقطع المعذرة، وألا يحتج أحد علىٰ الله تعالىٰ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فدل علىٰ أن الذي يقطع الحجة هم الرسل صلىٰ الله عليهم وسلم، ولهٰذا فإن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد بعثة الرسل، إذا بعثت الرسل وقامت الحجة وانقطعت الحجج عذّب الله من أبىٰ اتباع الرسل، ولهٰذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] وخاتم هؤلاء الرسل وهو سيدهم وسيد ولد آدم أجمعين هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وكل دعوىٰ نبوة بعده فإنها كفر من مدعيها ومن مصدقها، فهو خاتم الرسل، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، وقال ﷺ: «**وختم بي النبيون**» فلا نبي بعده بتاتًا عليه الصلاة والسلام، ودينه أكمل دين، ودينه عام للجن والإنس فلا دين بعد هٰذا الدين يقبل عند الله تعالىٰ، ولا نبي بعد هٰذا النبي الكريم، ولا كتاب بعد القرآن العظيم، وليس بعد هٰذه الأمة أي أمة أخرىٰ، إنما علىٰ نهاية هٰذه الأمة تقوم الساعة، ولهٰذا قال أيضًا: والدليل علىٰ أن نوحًا أول الرسل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ استدل بهٰذه الآية علىٰ أن نوحًا هو أول الرسل، وهو أول الرسل بعد وقوع الشرك، لكن لا شك أن آدم قبله، وأنه من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وقد استدل بهٰذه الآية بعض أهل العلم علىٰ أن نوحًا، من أهل العلم من

يقول إن إدريس قبل نوح، ويقولون: إن إدريس جد أبي نوح يقولون إن نوح هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، ويقولون: إن أخنوخ هٰذا هو إدريس يعني جد أبي نوح، بعض أهل العلم قال: إن هٰذا ليس بسليم؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ قالوا: ونوح هو أول الأنبياء.

ومعلوم أن آدم نبي قطعًا، ومنهم من يقول إن نوحًا هو أول رسول بعد الشرك، فبعد الشرك هو أول الرسل وهو الوارد في الحديث الصحيح حين يقول الناس: يا نوح أنت أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض.

ثم ذكر رحمه الله أن كل أمة بعث الله إليها رسولًا، مثل ما ذكر رحمه الله في أول الرسالة أن الله لم يترك الناس هملًا ضائعين، بل أرسل إليهم رسولا يأمرهم وينهاهم، فما من أمة إلا وقد أقام الله تعالىٰ عليها الحجة كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر] فيبعث الله تعالىٰ فيهم رسولًا من نوح إلىٰ محمد يأمرهم بعبادة الله تعالىٰ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ فدل علىٰ أن الرسول يبعث في كل أمة، ماذا تقول الرسل وما دعوة الرسل؟ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وهٰذا معنىٰ التوحيد كما تقدم بيانه في السابق، وبه يعلم أن الرسل كثيرون جدًّا لا يحصيهم إلا الله؛ لأن كل أمة يبعث فيها رسول ولهٰذا قال الله تعالىٰ في الرسل: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨] فثمة رسل لا نعلمهم ولهٰذا نؤمن بهم جميعًا من علمنا منهم ومن لم نعلم، ثم سيذكر بعد ذلك الكلام علىٰ الطاغوت والكفر به ومعناه.

أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله:

وافترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: ومعنىٰ الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون؛ ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راض، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة]، وهٰذا هو معنىٰ لا إلٰه إلا الله، وفي الحديث: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**».

والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

افترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، ما المراد بالطاغوت؟

ورد الطاغوت في القرآن علىٰ معنيين:

المعنىٰ الأول للطاغوت: المعبود من دون الله إذا كان راضيًا، وهو الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ العروة الوثقىٰ هي لا إلٰه إلا الله، الاستمساك به لا بد فيه من أمرين اثنين: الكفر بالطاغوت، والمراد به المعبود من دون الله إذا كان راضيًا، ويدخل في إطلاق الطاغوت: الأصنام والأوثان، فإنه يصح إطلاق الطواغيت عليها، أما مَنْ عُبد وهو غير راضٍ كالملائكة عليهم الصلاة والسلام، أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو عباد الله الصالحون فهؤلاء لا يرضون، بل هم أشد الناس بغضًا للشرك ولمن يعمل بهم هٰذا، وهم يبرؤون إلىٰ الله مما فُعل بهم، لا شك أن لا يصح أن يسمىٰ مثل هؤلاء طواغيت قطعًا، إذًا الطاغوت هو الذي يرضىٰ.

المعنىٰ الثاني للطاغوت: من أبىٰ تحكيم شرع الله والتمس تحكيم شرع غيره، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فيريدون أن يُتَحاكم إلىٰ غير شرع الله، فالتحاكم إلىٰ غير شرع الله تحاكم إلىٰ الطاغوت بنص هٰذه الآية واجب علىٰ الأمة أن تتحاكم إلىٰ شرع ربها، أما ما سوىٰ هٰذا الشرع من هٰذه

القوانين الخبيثة المجتلبة من بلاد الكفر شرقًا كانت أو غربًا وكل وضع يسود سواء في شكل قبلي، أو في شكل أعراف علىٰ خلاف الشرع، فإنه يجب أن لا يخضع له، ويجب أن يتركه المسلمون وأن يكفروا به كفرًا؛ لأن الله تعالىٰ أمر بالكفر بهٰذه الطواغيت التي هي علىٰ خلاف شرعه، فيجب أن يلتزم شرع الله تعالىٰ، وأن تجتنب هٰذه الأحكام الباطلة.

ثم قال رحمه الله: والطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، أصل الطغيان هو مجاوزة الحد كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة] أي لما زاد الماء عن الحد حملناكم في الجارية يعني السفينة، فتجاوز العبد حده بأحد يعبده سوىٰ الله سبحانه أو يتبعه اتباعًا مطلقًا أو يطيعه طاعة مطلقة فإن ذلك ولا شك من سبيل الطاغوت.

ثم بيّن أن الطواغيت وهي جمع طاغوت كثيرة وأخبث الطواغيت ورأسهم وإمامهم إلىٰ جهنم وبئس المصير هو إبليس، ولهٰذا بدأ به؛ الكلام هٰذا لابن القيم رحمه الله نقله الشيخ هنا:

رؤوسهم خمسة:

إبليس -لعنه الله- هٰذا الأول.

الثاني: من عبد وهو راض هٰذا قيد مهم جدًّا؛ لأنه لو عُبد وهو لا يرضىٰ فلا يصح ولا يحل عليه أن يطلق عليه أنه طاغوت إنما يطلق الطاغوت علىٰ من عبد راضيًا، فمن عُبد وهو راض بالعبادة من دون الله سبحانه فإنه طاغوت.

الثالث: من دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ما الفرق بين الثاني والثالث؟ الثالث قد يدعو الناس إلىٰ عبادة نفسه فإنه يكون طاغوتًا حتىٰ لو لم يُعبد، يعني الأول يرضىٰ أن يعبد فهو يراهم يعبدونه وهو راضٍ بالعبادة -عياذًا بالله-، الثاني يقول -عياذًا بالله- للناس: اعبدوني فإذا دعا إلىٰ عبادة نفسه فسواء أطيع أو لم يطع فإنه طاغوت، علىٰ أي اعتبار أطاعه الناس فعبدوه أو لم يطيعوه ولم يعبدوه، في الحالين كليهما يكون طاغوتًا.

الرابع: من ادعىٰ شيئًا من علم الغيب؛ لأن الغيب خاص بالله سبحانه، ولهٰذا سمىٰ نفسه تعالىٰ بعالم الغيب، وسمىٰ نفسه بعلام الغيوب، فالغيب لا يمكن أن يطلع عليه أحد إلا الله ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن رضي الله عنهم رضي الله عنه وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وأمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ أن يبين

أنه لا يعلم الغيب، ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فلا يعلم الغيب إلا علّامه تعالىٰ، وإنما يطلع الله تعالىٰ علىٰ بعض غيبه من شاء من رسله بيانًا لكونهم صادقين قد جاؤوا بهٰذا الوحي من عند رب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن]، فيطلع الله ولا شك الرسل علىٰ بعض الغيوب لا علىٰ كل الغيوب؛ لأن الغيب المطلق لله كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠] هذا الأصل الغيب لله وحده، لكن قد يطلع الله تعالىٰ أنبيائه علىٰ شيء من الغيوب بيانًا لكونهم صادقين قد جاؤوا بهٰذا الأمر من عند الله، فمن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب فهو طاغوت، وهو كافر بالله سبحانه، إذا قال: إني أعلم الغيب؛ لأن الغيب خاص بالله تبارك وتعالىٰ.

الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله، أصل الحكم بما أنزل الله تعالىٰ مرتبط بتوحيد الربوبية؛ لأن تنفيذ الحكم هو مقتضىٰ ربوبيته سبحانه، فينفذ حكم الله، الأرض أرض الله، والعباد عباد الله فلا يطبق في أرض الله علىٰ عباد الله إلا شرع الله، فأما من طبق في أرض الله علىٰ عباد الله قوانين باطلة اجتلبها من أي موضع اجتلبه فهو لا شك طاغوت، ولا يحل أن يطبق سوىٰ شرع الله تبارك وتعالىٰ.

ولهٰذا قال الله جل وعلا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، فجعل ﷻ طاعة الأحبار والرهبان في غير الحق -حين أحلوا الحرام وحرموا الحلال- جعل ذلك من اتخاذهم أربابًا، وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورىٰ: ٢١] فسمىٰ ذلك تعالىٰ شركًا، فلا يحل أن يطبق في أرض الله تعالىٰ إلا شرعه سبحانه، وكل شيء علىٰ خلاف شرعه فالواجب علىٰ المسلمين أن يغيروه، فإذا وجدت أنظمة واتضح أنها علىٰ خلاف الشرع فإنها تغير، وهٰذا -ولله الحمد- معمول به في البلاد هنا، كثير من الأنظمة تضعها مثلا بعض الشركات أو بعض الجهات ويكون الواضع للنظام غير عالم ولا حصيف بأحكام الشرع، فيتضح أن فيه مخالفة للشرع فيغير النظام، أو يرفع إلىٰ المحكمة فإذا رفعت القضية إلىٰ المحكمة يقول القاضي: النظام هٰذا خاطئ باطل وما تريده أنت من الأمور التي تستحق علىٰ هٰذا النظام لا تستحقها لماذا؟ لأن هٰذا النظام في أصله باطل، وكان الواجب ألا يوضع هٰذا النظام ويجب أن يُغير فالغلبة للشرع، فإذا وجد شيء علىٰ خلاف

الشرع فإنه يغير، وإذا أريد وضع استحقاقات أو متطلبات بناء علىٰ نظام علىٰ خلاف الشرع فالقضاء الشرعي يرده؛ لأن المفترض أن تكون الأمور علىٰ وفق الشرع فقط، وألا يتحاكم إلىٰ غير شرع الله، وثمة أنظمة ولله الحمد غيّرت.

ومن مناقب شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله تعالىٰ عليه أنه كتب إلىٰ المسؤولين في هٰذه البلاد بأنه لا يصح أن يكون في الأنظمة اسم المشرع؛ لأن كلمة المشرع عند أصحاب الأنظمة موجودة وسارية ومنتشرة، فصدر قرار من مجلس الوزراء بالمملكة بمنع كلمة المشرع بتاتًا في الأنظمة؛ لأنه لا يصح أن يقال هٰذا تشريع من قبل العباد، يصح أن تجعل أنظمة مثل أنظمة المرور أو غيرها إذا كانت علىٰ غير خلاف الشرع لا إشكال، فإذا وجد في أثناء هٰذه الأنظمة شيء علىٰ خلاف ما قرره أهل العلم فإنها تغير الفقرة المحددة هٰذه، لكن أن يوضع أنظمة مثل ما هو حاصل مثلا في الوزارات إذا أردت أن تأتي إلىٰ معاملة من المعاملات لتطلبها يقول لك: اذهب إلىٰ الصادر والوارد وائتنا برقمها ثم يكون هٰذا أسهل علينا من أن نبحث في هٰذه المعاملات التي هي بالألوف، فيضعون صادرًا ووارداً يعطىٰ عليه رقما، يكتب فيه الرقم والتاريخ لا بأس به، ما فيه إشكال هٰذا؛ لأن هٰذا علىٰ غير خلاف الشرع ما دام لا يخالف الشرع فلا بأس، وهو في مصالح من مصالح المسلمين.

ومن ذلك مثلا التزام هٰذه الأنظمة مثل في الإشارات ونحوها لأجل أن ينظم السير؛ لأنه لو قيل للناس انطلقوا والتقت السيارات فإنها بلا شك ستتوقف مسيرة السيارات، فإذا وجد نظام يحدد أنه في حال الإضاءة بالإشارة الخضراء تنطلق هٰذه السيارات التي في هٰذه الجهة، والبقية تتوقف السيارات بالآلاف لأنه لو لم توجد مثل هٰذه لدخلت السيارات في بعضها، وما تمكن الناس من أن يصلوا إلىٰ مصالحهم، لا بأس ما فيه إشكال، فمثل هٰذه الأنظمة التي علىٰ غير خلاف الشرع هي من الجائز، فإذا وجد في أثنائها ما يخالف الشرع يغير ويشطب ويعدل وهٰذا المنصوص عليه ولله الحمد حتىٰ في النظام الأساسي.

لما ذكرت فقرات النظام الأساسي ذكر أن الشرع هو الذي له في هٰذه البلاد هو الذي له الغلبة علىٰ جميع الأنظمة بما في ذلك النظام الأساسي نفسه، بحيث لو وجد فيه شيء فإنه يحاكم وفق الشرع، فالشرع حاكم علىٰ النظام الأساسي في البلاد كلها، وعلىٰ سائر الأنظمة في الوزارات، وفي الجامعات، وفي المصالح الحكومية؛ لأن الشرع هو الذي يجب أن تكون له الغلبة، ففي حال وجود فقرة أو فقرات

علىٰ خلاف الشرع تغير هٰذه؛ لأن الأصل كما قلنا الدولة الإسلامية الأصل أن الغلبة فيها للشرع الشريف.

والحكم بغير ما أنزل الله ذكر أهل العلم أن الكلام فيه علىٰ نوعين؛ فثمة حكم بغير ما أنزل الله يرتد به من حكم بغير ما أنزل الله بإجماع علماء أمة محمد ﷺ، فمن قال: إن تحكيم غير ما أنزل الله سواء أنظمة، أو أعراف، أو أسلاف أو أي شيء، قال: إن هٰذه أفضل من الشرع، أو مساوية للشرع، أو الشرع أفضل منها لكن يجوز الاحتكام إليها، أو قال ما هو أوقح من عبارات خبثاء العلمانيين والزنادقة بأن قال: إن الشرع غير مناسب لهٰذه القرون، وإنه ولىٰ زمانه أو قال: إن الشرع هو سبب في تخلف المسلمين، أو أن أحكامه لا تناسب في مسألة المرأة، أو في الاقتصاد، وإنه يجب أن تجتلب أحكام علىٰ خلاف الشرع متعلقة بالمرأة ويعاد تنظيم أمرها؛ لأن أحكام الشرع متخلفة في مسألة المرأة أو في مسألة الاقتصاد أو في غيرها، فهٰذا بإجماع علماء أمة محمد ﷺ كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه جعل شيئًا من هٰذه الأنظمة أعظم من الشرع أو مساويًا له، أو أساء العبارة، أو قال فإنه يجوز مجرد جواز، أما إذا حكّم هٰذه الأنظمة لهوىٰ في نفسه، فإن كثيرًا من أهل العلم يقول: إنه في مثل هٰذه الحالة يكون كفره من قبيل الكفر الأصغر؛ لأن القاضي الذي يرتشي مثلا في الدولة الإسلامية -حتىٰ قديمًا- لو أن قاضيًّا رشي رشوة فجعل الحق للظالم علىٰ المظلوم، ماذا فعل؟ حكّم غير الشرع الواقع أنه حكم غير الشرع، أو أنه لهوىٰ في نفسه، لحبه هٰذا المتقدم أو لبغضه للطرف الثاني جعل الحق للظالم علىٰ المظلوم، مع علمه لا شك أنه حكّم غير الشرع بلا ريب، فهل يكفر هٰذا القاضي الذي ارتشىٰ أم فعله فعل أهل الفسق والظلم؟ لا شك أن فعله فعل أهل الفسق والظلم قالوا: فكذلك من حكم غير الشرع ما دام يقول إن هٰذه الأنظمة التي اجتلبناها لا نشك أنها لا يمكن أن تدنوا من الشرع، وأن الأفضل والأكمل للإنسان أن يطبق شرع الله عليه، لكن عندي هوىٰ أنا لو لم أطبق هٰذا الشرع ما حصلت، أو لو لم أطبق هٰذه الأنظمة ما حصلت علىٰ وظيفة، لما صار في هٰذا الجاه فأنا أعلم أن شرع ربي أرفع وأجل وأعظم ولا يمكن أن أقارن الشرع بهٰذه الأنظمة التي أنا أحتقرها وإن طبقتها، لكني صاحب هوىٰ مثلي مثل من يشرب الخمر مع علمه بحرمتها، فهٰذا قال كثير من أهل العلم: إنه لا يكفر كفرًا مخرجًا من الملة وإنما كفره أصغر.

وثمة تفصيلات فمن أهل العلم من قال: إنه يختلف وضع التقنين العام بحيث يجعل الحق باطلًا

والباطل حقًّا، والمباح حرامًا والممنوع حلالًا يختلف عن وضع الأحوال الجزئية، ومنهم من قال: لا فرق، فالحاصل أن ثمة مواضع في تحكيم غير الشرع هي محل إجماع، مثل الصور التي ذكرنا، وثمة مواضع هي محل خلاف ونزاع، والواجب علىٰ أمة محمد ﷺ أن تعلم أن التخلف كل التخلف هو في أن يترك شرع أعلم مَنْ خلق سبحانه، وأحكم من خلق ويذهب إلىٰ زبالات أفكار الاشتراكيين أو سخافة الفرنسيين في قوانينهم أو البريطانيين أو غيرهم، هٰذا والله هو التخلف يترك شرع رب العالمين الذي قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]، لكلمات هؤلاء المخمورين المهووسين الذين هم إلىٰ الجنون أقرب منهم إلىٰ العقل، انظر ماذا فعلت بهم أنظمتهم وفلسفاتهم في بلادهم انظر إلىٰ أعراضهم، وإلىٰ أحوالهم ما الذي فعلت بهم مزقتهم كل ممزق ودمرتهم غاية التدمير، أعراض هناك علىٰ أخبث ما يكون لا يوجد لها نظير حتىٰ في تاريخ الجاهلية، ماذا فعلت بهم الأنظمة إلا أسوء ما يكون، فالتخلف كل التخلف في ترك الشرع، وانجلاب هٰذه الأنظمة الفاسدة الفاجرة، الواجب علىٰ أمة محمد ﷺ أن تحكم شرع ربها في عباده علىٰ أرضه سبحانه وتعالى.

ثم بيَّن ما يتعلق بالآية وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال: وهٰذا هو معنىٰ لا إلٰه إلا الله وهٰذا شرحناه، شرحنا النفي والإثبات في هٰذه الآية، قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ نبهنا إلىٰ المراد به أن المقصود لا إكراه في الدين بظهور أدلته ووضوحها وجلائها، ولهٰذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ إذا تبين الرشد من الغي فصاحب النفس السوية السليمة يختار الرشد علىٰ الغي، هٰذا المعنىٰ، وليس المعنىٰ أنك لا تأمر بالمعروف ولا تنهىٰ عن المنكر ولا تنكر علىٰ أهل الكفر وأهل الفجور لقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾، هٰذا غلط منتشر، وفاشي فشوًّا شديدًا، ومنه قول كثير من الناس إذا رآك تنكر منكرا علىٰ أحد مثلا يعمل أثناء الصلاة أو علىٰ أحد قد أظهر مثلا الأغاني والموسيقىٰ أو أظهر شيئًا من عورته أو نحو ذلك يقول لك بعض الناس يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ هٰذا غلط واستدلال في غيره محله قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ نزل في سورة هي سورة الكافرون فالكلام مع الكفار الذين لهم دين ولنا دين آخر، أما أخي المسلم هٰذا العاصي فدينه وديني واحد لا أقول لي دين ولك دين، كيف

له دين وهو مسلم؟ ولي دين وأنا مسلم؟ ديننا واحد الأمر الآخر هٰذه السورة وما اسمها؟ سورة الكافرون، وما أول آية فيها؟ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فالكلام موجه أصلًا للكفار فمن الخطأ أن تأتي إلىٰ آية إلىٰ سورة وجه الكلام فيها للكفار وتنزله علىٰ مسلم، هٰذا لا يقال في مسلم، ولا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمثل هٰذه الاستدلالات.

ثم قال رحمه الله: وفي الحديث: «**رأس الأمر الإسلام**» أعظم شيء وأجل شيء مقدم علىٰ الأوطان والقبائل والأهل والأنفس والأموال والعشائر وكل شيء، هو الإسلام فهو رأس الأمر وأجله وأرفعه هٰذا الدين العظيم، رأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ هو الإسلام، والواجب علىٰ المسلم أن يجعل هٰذا الدين مقدمًا علىٰ دنياه وعلىٰ كل شيء، وهٰذه من أكبر علامات الإيمان الحقيقي، أن يكون دين العبد مقدمًا علىٰ كل شيء سواه، فقال: «**رأس الأمر الإسلام، وذروة سنامه**» أعلاه «**الجهاد في سبيل الله**» ولهٰذا قلنا إن الجهاد في سبيل الله له مقام كبير، وما دام ذروة السنام فهو أعلىٰ الإسلام، ولا يمكن يا أخوة أن نعرف ذروة السنام إلا إذا عرفنا أحكامه، ولهٰذا من الخلل الكبير أن يقتحم أمر الجهاد في سبيل الله دون علم بأحكام الجهاد، لا بد أن نعرف أحكام الجهاد وأن نكون علىٰ دراية وعلىٰ بصيرة بالجهاد؛ لأنه هو ذروة السنام، وكونه ذروة السنام معناه أنه في موضع عالي، ومن علوه أن يعلو علمه، وأن يُحتاج إلىٰ تعلمه ومعرفته، وأن لا يكون كيفما اتفق.

قال: «**وعموده الصلاة**» وهٰذا من أظهر الأدلة علىٰ أن ترك الصلاة كفر؛ لأن البيت إذا أزيلت عموده، الخيمة إذا أزلت عمودها ماذا يحصل لها؟ تسقط ولا يمكن أن توجد خيمة بلا عمود، ولو أردت أن تفعل ما تفعل وقويت الأطناب التي تشد بها الخيمة وجعلتها خيمة جديدة من أحسن الخيام، لكن بدون عمود لا يمكن أن تقوم تظل ساقطة، فكذلك الحال من لا صلاة له فلا إسلام له ولا دين له.

ثم قال رحمه الله تعالىٰ: والله أعلم، إحالة العلم لله، وختم بالصلاة والسلام علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، اللّٰهمَّ صل وسلم علىٰ محمد وعلىٰ وآله وصحبه أجمعين.

ونكمل إن شاء الله سبحانه في الأسبوع القادم مع بقية الكتب ويستحسن خاصة في الكتب القصيرة مثل القواعد الأربع، يستحسن أن يؤتىٰ بالكتاب الذي بعده؛ لأن ثمة احتمالا أن ننتهي فإذا انتهينا مبكرين نبدأ في الكتاب الذي بعده اغتنامًا للوقت إن شاء الله.

يسأل الأخ يقول: ذكرتم أن مَنْ هاجر من بلده فلا يعود إليه إلا عند الحاجة ثلاثة أيام بلياليها لكن قد يهاجر الشخص من بلد تكون فيه والدته فتطالبه والدته بالرجوع؟

نحن نقول: إذا هاجر من هٰذا البلد بدينه لا إذا انتقل من بلد إلىٰ بلد، النقلة وضع آخر لكن إذا هاجر بدينه، يعني فر بدينه؛ لأنه أوذي في هٰذا الموطن هٰذا هو المقصود أما إذا انتقل إلىٰ بلد ورجع إلىٰ أهله، هٰذا وضع آخر لكن إذا فر بدينه من هٰذا البلد لله سبحانه فإنه يأتي مدة محدودة ويعود هي ثلاثة أيام.

يقول: ما هي المتون التي يجب علىٰ طالب العلم حفظها بعد كتاب الله ثم يتخصص في فن؟

ما نقول: إنه يجب وجوبا الحفظ ما نستطيع نوجبه علىٰ سبيل الوجوب، لكن نقول علىٰ سبيل الحض وحث طلبة العلم علىٰ ذلك، لكن مثل ما قلنا يبدأ الطالب دائما في المتون القصيرة، ويحاول أن ينوع المتون فيكون متن عقدي ومتن في أحاديث الأحكام ومتن في الفقه ونحو ذلك.

يسأل عمن مات قبل بعثته عليه الصلاة والسلام؟

هؤلاء من أهل الفترة، من بلغه دين نبي قبله فإنه يؤاخذ، ومن انقطع بحيث لم يبلغه شيء أبدًا، فإنه يمتحن في القيامة.

يقال: هل هناك صفات ذاتيه فعليه لله سبحانه غير صفة الكلام؟

يعني ما يكون أصله المقصود، يعني أن نقول أصله الكلام أصله ذاتي وآحاده متجددة.

بعض الأسئلة قد تكون يعني من دقيق العلم في بعض الأحيان فنرجئها إلىٰ موضع؛ لأن مثل ما في الأصول الثلاثة ونحوه يعني المفترض أن تكون الأسئلة فيه بحسب المستوىٰ الموجود.

ذكرتم أن من حكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أنه أفضل أنه ردة، وأن من حكم بغير من أنزل الله لهوىٰ فإنه قول بأنه لا يكفر؟

ما قلنا هٰذا يا أخي من حكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن الشرع أفضل؛ هٰذا كثير من أهل العلم يقول: لا يكفر ما قلنا أنه يكفر، يقولون من حكم بغير ما أنزل الله لكن يقول الشرع أفضل وإن حكمت هٰذه القوانين كثير من أهل العلم يقولون: لا يكفر، إنما يكفر إذا قال: إن القوانين أفضل من الشرع هٰذا المعنىٰ، قوله: أن من حكم لهوىٰ فإنه لا يكفر هٰذا أصحاب هٰذا القول هم أصحاب هٰذا القول. يقول: من حكم معتقدا أن الشرع أفضل لكنه لهوىٰ في نفسه؛ لأنه لا يصير في سدة الحكم في تلك البلاد إلا إذا طبق القوانين العفنة تلك، صاحب هوىٰ يريد هٰذا المنصب يريد هٰذه الرئاسة مثلا اعتقاده ثابت في أن

الشرع أفضل، وأن هٰذه الأنظمة لا يمكن أن تكون قريبة أصلًا من الشرع فضلًا عن أن تساويه فضلا عن الأنظمة أن تكون أفضل منه، هٰذا الذي قال كثير من أهل العلم أنه لا يكفر.

نفس الشيء فيما يتعلق بمن هاجر من بلاد الكفر أنه من تركها لله سبحانه فإنه لا يعود إليها.

يقول: ما معنىٰ قول ابن القيم: معنىٰ الطاغوت معبود متبوع مطاع؟

هو قال: ما تجاوز به العبد حده من معبود، يعني يتجاوز الحد ويطغىٰ بأن يعبد غير الله، أو يتبع من لا يجوز اتباعه فيتبعه حتىٰ علىٰ باطله، وإن زين له الحرام، وإن بغض له الواجب والحكم الشرعي، وحرم عليه الحلال، يتبع في مثل هٰذا ويطيع في مثل هٰذا، هٰذا المراد.

آدم هل هو أول الرسل؟

من أهل العلم من يقول: إنه بعث إلىٰ بنيه؛ لأن أبناء آدم موجودون ومنهم من يقول: إن أول الرسل بعد الشرك يعني علىٰ سبيل القيد؛ لأن نوح هو أول الرسل بعد وقوع الشرك، لأن الفترة التي بين آدم وبين نوح لم يكن فيها شرك كما قال ابن عباس بين آدم وبين نوح عشرة قرون كلهم علىٰ الإسلام.

يقول: هل من يقول: إن حكم الله هو الحكم الحق وأنا أومن بذلك لكن حكم غير شرع الله في جميع جزئياته هل هٰذا يكفر أم لا يكفر في الجزئية واحدة أو اثنين؟

هٰذا الذي قلنا فيه الخلاف، من أهل العلم من يقول: صورته مثل صورة القاضي الذي ارتشىٰ مع علمه أن الحق مع ذاك المظلوم وجعل الحق عليه، ومنهم من يفرق يقول: فيه فرق بين القضية الجزئية وبين من جعل المسألة تشريعًا عامًّا.

يقول: من يقول منهج الإسلام في الطب ليس هو المنهج السليم، وكذلك في الزراعة بعض من ينتسب إلىٰ العلم يقول هٰذا؟

لا يمكن أن يأتي أحد ينتسب إلىٰ العلم يقول هٰذا، ويصف الإسلام بمثل هٰذا لا في طب ولا في زراعة ولا في أي شيء، لا يكون هٰذا من أهل العلم هٰذا من أهل الفجور والعلمنة لا يقول هٰذا مسلم.

يقول: إن ما ورد أن إبليس إذا لعن ينتفخ؟

جاء هٰذا فإبليس يستعاذ بالله سبحانه منه لكن هو ملعون لعنه الله تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١١٨].

يسأل يقول: توظفت خارج الرياض وأعـود في أجـازة الأسـبوع إلـىٰ أهلـي في الريـاض هـل أقصـر الصلاة مع العلم أني سأعود بعد سنتين للرياض؟

العادة علىٰ هؤلاء أنهم يكونون أفرادًا يكون شخص واحد، وحتىٰ لو قيل بأنه مسـافر، فإنـه إذا سـمع النداء فإنه يجيب حتىٰ لو كان مسافرًا إنما يصـلي الجماعـة وحـدهم إذا كـانوا مسـافرين وحـدهم، أمـا شخص مثل ما لو ذهبت مثلا إلىٰ جدة، ونزلت في فندق هل تصلي وحدك وأنـت مسـافر سـتبقىٰ يـومين مثلا؟ لا ما تصلي وحدك، تصلي مع الجماعة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من سـمع النـداء فليجـب**» لكـن لـو كنتما اثنين فأكثر وستذهبان إلىٰ جدة أو إلىٰ الدمام أو إلىٰ أي موضع مدة يومين ثلاثة أيـام نعـم لكمـا أن تصليا معًا، لكن شخص واحد فإنه يصلي مع الجماعة.

من مات وهو كافر هل يقال هو في النار أم ماذا؟

مثل هٰذه الأسئلة يا إخواني طلبة العلم يجب أن تضبط، مات وهو كافر، بلغته الـدعوة أو لـم تبلغـه؟ لأنه إذا مات علىٰ الكفر؛ لأن الدعوة لم تبلغه فإنه يمتحن كما في الحديث يمتحن في القيامة، أما إذا بلغتـه الدعوة وأبىٰ ورفض فإنه في هٰذه الحالة يموت علىٰ الكفر، نعم يكون من أهل النار فيختلف حاله.

يقول: يطلق بعض العامة علىٰ بعض الأشخاص ألفاظ أصلها من الغـرب كالليبراليـة والعلمانيـة يـا ليبرالي أو غيره؟

الكلمات هٰذه كبيرة ولها معاني، العلمانية لا شـك أنها ردة؛ لأنهـا تقتضـي أن الـدين يعـزل وأنـه لا يخضع الدين للحياة بتاتًا، العلمانية مضادة تمامًا للدين فإذا أطلقت علـىٰ أحـد أنـه علمـاني احـذر لأنهـا تساوي الكفر تمامًا، فلا تطلق إلا علا من يستحق، لكن لو جاء بأفكار عوجاء قال: إن مثلا نريد أن تقـود النساء السيارات أو نحوه لا تسرع لا تطلق عليه لا ليبرالـي ولا علمـاني؛ لأن الليبراليـة والعلمانيـة كلمـة خطيرة جدًّا، حتىٰ لو كان عنده فسق أو عنده آراء عوجاء وهو مـن المسـلمين لا يقـال: لـه ليبرالـي؛ لأن الليبرالية لها مدلول لها معنىٰ الانفتاح المطلق والحرية الغير محدودة بتاتًا، وفتح الباب لكل أحد ليقـول ما شاء، ويفعل ما شاء، ويتدين بما شاء، وألا يرد أحد عن أي شيء كائنًا من ما كـان، فهـي فوضـىٰ مثـل الوضع السائد في الغرب، فإطلاقك علىٰ مسلم لأنه قال رأيا أعوج أو لأنه ظـن أن هٰـذا يجـوز شـرعًا، أو لأنه لبس عليه الأمر، أو قال فكرة عوجاء حتىٰ لو كان فيها مخالفة وهي فسـق مـن الفسـق إطـلاق هٰـذه الألفاظ عليه ليست سهلة؛ لأنها فيها إخراج له من الملة.

يقول: ذكر الفيروز آبادي في القاموس أن ذروة بالضم والكسر.

جزاك الله خير إذا كان كذا معناه أن فيها الوجهين: أن تقول الذُروة والذِروة هٰذه فائدة جزاك الله خير.

يقول: هل من أكل الحرام وهو يريد الحرام وحرم الإجابة لقوله ﷺ: «**فأنىٰ يستجاب له**» هل يُحرم أجر الصبر علىٰ المصيبة؟

لا، مسلم هو مسلم، لو جاءته مصيبة فإنه يكفر عنه، فإذا عمل صالحًا فإنها تُقبل هٰذه الصالحات لكن هٰذه في كفة الحسنات، وتلك في كفة السيئات.